3

المرحلة الآرامية ـ المسيحية

من بين اقدم النصوص ألارامية:(5 ق.م)من التيماء شمال السعودية، والتي كانت معتكفا لأخر ملوك بابل:(نبونيد)

منحوتة لأمير آرامي عليها اقدم نص بالآرامية من القرن7 ق.م .عثر عليها قرب حلب السورية

هذا نص بالآرامي واليوناني، كتبه اول ملوك الهند(اشوكا) القرن 3 ق.م. وهذا دليل على عالمية الآرامية التي بفضلها اكتشف العالم الكتابة الحروفية!

ان السيطرة الآرامية على العراق والشام وعموم الشرق، كانت أساسا (سيطرة لغوية)، لأن (الآرامية) كانت اول لغة تستعمل (الكتابة الحروفية الفينيقية) التي تُعتبر سهلة وواضحة مقارنة بالكتابة المسمارية والصورية في العراق ومصر. ولهذا اصبحت لغة ثقافية ودبلوماسية للشرق والعالم، وكان هذا تعويضا ثقافيا لشعوب الشرق بعد فقدانها لدولها وخضوعها لأكثر من الف عام للدول الآرية الجديدة:(الايرانية، اليونانية، الرومانية ثم البيزنطية)، حتى (الفتح العربي الاسلامي) وعودة الشرق الى مجده السالف.[1]

(1) ـ عن اللوح الآرامي ـ اليوناني، قد عثر عليه في (قندهار في افغانستان)، التابعة حينها لاول ملوك الهند(آشوكا: Ashoka) في القرن الرابع ق.م. طالع ويكيبيديا بالانكليزي: Aramaic / وفيه الصورة المعنونة:
The Kandahar Bilingual Rock Inscription (Greek and Aramaic) by the Indian king Ashoka, 3rd century BC at Kandahar, Afghanistan

سقوط المشرق والمتغيرات الكبرى!

منذ الالف الثاني ق.م بدأت القبائل البدوية الارية، بسبب المناخ والتكاثر، بالنزوح نحو اوربا وجنوب آسيا. وقد استفادوا كثيرا في حروبهم من تطويعهم للحصان للركوب والعربات. فظهرت اولى دولهم: الحيثيون في الاناضول. الميديون ثم الفرس في ايران. اليونان والسلت واللاتين والسلاف في اوربا. وقد سيطروا على الشرق اكثر من الف عام حتى الفتح العربي

إن هذه المرحلة تتضمن متغيرات حضارية كبرى حدثت في بلاد النهرين وعموم الشرق الأوسط، من جميع النواحي: السكانية والدينية واللغوية.

حتى الألفية السابقة للميلاد لم تكن هنالك أية دولة ولا حضارة قائمة على الكتابة خارج: (الحضارة الشرقية المشتركة) في بلدان المشرق: (النهرين وكنعان ومصر). فخلال أكثر من ألفي عام، أي منذ الألف الثالث ق.م حتى الألف الواحد، لم تنتج شعوب الارض اية ثقافة بغير الكتابتين المسمارية النهرينية والتصويرية ـ الهيروغليفية ـ المصرية. [2].

(2) الثقافات الأولى في الهند والصين وأمريكا لم تترك أية آثار كتابية واضحة مما يدل على محدودية درجتها المعرفية. فإن (كتابة السند في باكستان) عبارة عن نقوش تصويرية قليلة ومتفرقة على الأواني لم يثبت أنها حقا كتابة تعبيرية. كذلك الكتابة الصينية القديمة فإنها كانت نقوشاً متفرقة على العظام وصدف السلاحف. نفس الحال بالنسبة لأمريكا، فهناك نقش (كاسكاجال بلوك). بالإضافة إلى نقوش عديدة متفرقة عثر عليها في مختلف بلدان العالم، لكنها لم ترق إلى مستوى الكتابة التعبيرية والسجلات، بل هي محاولات أولية بدائية سابقة للكتابة.

لم تظهر الحضارات الكتابية خارج بلدان المشرق:(النهرين والشام ومصر)، إلاّ في الألف السابقة للميلاد: في الصين واليونان، ثم الهند وغيرها، أي بعد حوالي ألفي عام من تواجدها في المشرق. (راجع تواريخ الحضارات في الصين والهند وكذلك مايا). مثل:

_ Toute l'histoire du monde /Jean _ Claude Barreau, Guillaume Bigot/Paris 2005

وللسهولة، يمكن مراجعة ويكيبيديا بالإنكليزي: History of writing.

لكن بدايات الثورة تعود إلى الألف السابق للميلاد، حيث ظهر (الآريون، أو الهندو أوربيون) وهم قبائل رعوية بدوية منتشرة في وسط آسيا (جنوب روسيا)، لهم جذورعرقية بعيدة مشتركة ومختلطة مع أعراق أخرى، تمثلت بتحالفات وتبادلات مصالحية ولغوية ودينية[3]، ويبدو أنهم قد برعوا في استخدام (الحصان) لأول مرة في الحروب، مما سهل عمليات انتشارهم البطيء خلال عدة آلاف من السنين في قارتي آسيا وأوربا، حتى تمكنوا أخيراً من تأسيس دول جبارة: إغريق ورومان وإيران وهنود.

بعد محاولات دامت بضعة قرون تمكنت الدول الجديدة الناطقة بالآرية في إيران ثم اليونان وورثتهم الرومان، من الانتصار واجتياح الشرق الأوسط وعموم العالم، واحتلال مراكز الحضارة المشرقية: العراق وسوريا ومصر، وبهذا تغيرت موازين القوى تماماً ومعها الخارطة الحضارية للعالم بصورة ثورية وجذرية.

وهذه المتغيرات من العمق والتأثير لحد أن يصح الحديث عن ثورة تاريخية جذرية كبرى حصلت في الشرق الأوسط وعموم العالم، ومن أهم معالمها:

ـ انتقال مركز الحضارة والقيادة إلى أوربا (اليونان ومقدونيا وإيطاليا) وكذلك إلى

(3) حسب البحوث الجينية، فإن الجد المشترك القديم (قبل 30 ألف عام) للشعوب الناطقة باللغات الآرية، في آسيا وأوربا، يحمل الجينة (R). إن هذه السلالة (الآرية ـ الهندو أوربية)، تكونت قبل حوالي 30 ألف عام، في شمال البحر الأسود وجنوب روسيا، ثم انتشرت في أنحاء أوروبا وأيضاً في الشرق الأوسط، ثم استقرت في الهند، وتعتبر السلالة الأولى في أوربا وتشكل حوالي نصف جيناتهم، ومنها انبثقت قبل حوالي خمسة آلاف عام القبائل الناطقة باللغات (الآرية) التي بفضل اكتشافها استخدام الجياد، تمكنت من الانتشار وفرض هيمنتها ولغتها التي شكلت أساس لغات غالبية شعوب الهند وأوربا.
إن البحوث الجينية الأخيرة أثبتت أن ما اتفق عليه بـ (الجينات الآرية: R) لا تتجاوز في أقصى الأحوال 50٪ لدى الشعوب الناطقة بهذه اللغات الآرية. فمثلا (إيران) التي حملت اسمها من (العنصر الآري)، كذلك الأكراد، فإن نسبة الجينة (R) لا تتعدى 25٪، مع وجود نسبه مضاعفة من الجينة الشرقية ـ السامية ـ العربية (J):
ـ ابحث عن: جينات إيران ـ IRAN Haplogroupes Y ـ ADN.
ـ حول بطلان نظرية الأصل واللغة الواحدة للآريين، راجع:
فتش بالعربي: (هجرات الهندو أوربيين، الآريين) وبالفرنسي والإنكليزي بعنوان: ـ Indo – Aryan migra- – tion
كذلك:
– Merritt Ruhlen (trad. Pierre Bancel, préf. André Langaney), L'origine des langues: sur les traces de la langue mère
– [« The Origin of language: tracing the evolution of the mother tongue »], Paris, Belin, coll. «Débats », 1996

آسيا (إيران والهند والصين)، وتحول المشرق العراقي ـ الشامي، المصري إلى تابع رغم احتفاظه بأهميته التاريخية والاستراتيجية الطبيعية.

تسمية المرحلة الآرامية ـ المسيحية

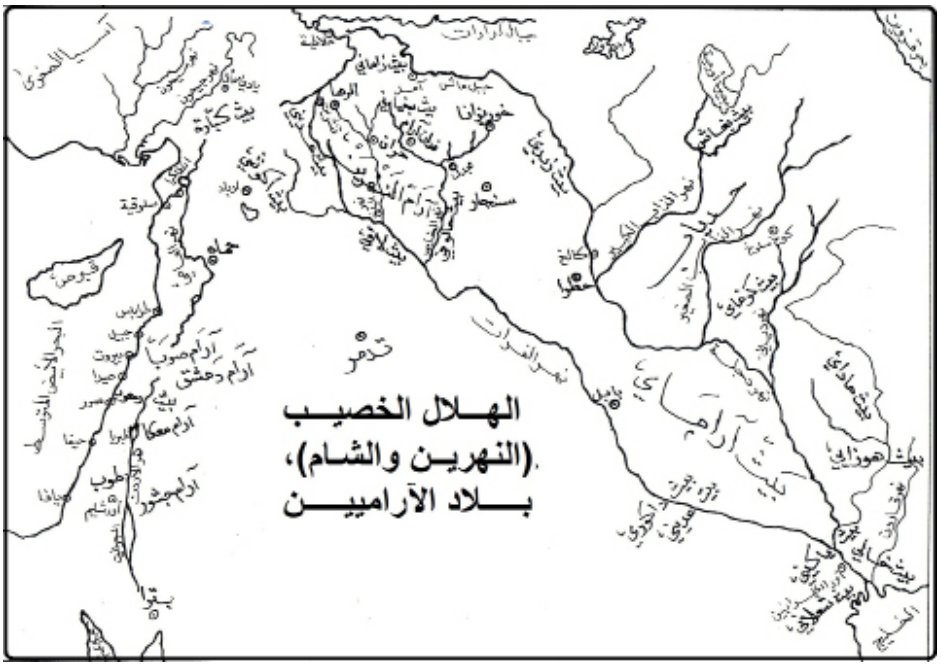

يتوجب التوضيح أننا أول من اعتبر هذه القرون الطويلة التي تتجاوز الـ 11 قرناً (حقبة واحدة) تحمل اسم (المرحلة الآرامية ـ المسيحية). وتبدأ منذ سقوط بابل في (539) قبل الميلاد على يد الفرس الإخمينيين، حيث بسط الإيرانيون نفوذهم على بلاد النهرين حتى القرن السابع والفتح العربي الإسلامي، أي ما يقارب (11) قرناً. في هذه الحقبة، كانت الغلبة للسيطرة الإيرانية، التي دامت أكثر من تسعة قرون: الإخمينيون (قرنان)، البارثيون (ثلاثة قرون)، الساسانيون (أربعة قرون)، وقد قطعت السيطرة الإيرانية بسيطرة يونانية دامت قرنين، بين القرن الرابع والثاني ق.م.

لهذا فإن جميع الكتب والنصوص التي تخص تاريخ العراق، اعتبرت هذه المرحلة مراحل عديدة تحمل مسميات الدول المحتلة: الإخمينية.. اليونانية السلوقية.. البارثية.. الساسانية..

أما نحن فنعتبرها (مرحلة واحدة) للسبب البسيط التالي:

ـ رغم تغيير الدول المحتلة، فإن بلاد النهرين، أي العراق وشعبه، ظل موحداً: سياسياً، ولغوياً ودينياً. كالتالي:

ـ أنه ظل موحداً جغرافياً وسياسياً، رغم الاحتلالات الأجنبية المتعاقبة؛ لأن طبيعته الجغرافية وتوحده الطبيعي حول النهرين، كان يفرض على المحتلين احتلاله كاملاً أو التخلي عنه كاملاً.

ـ أنه ظل هو نفسه من الناحية السكانية، مع استقباله كالعادة لهجرات عديدة من الشرق ومن الغرب، وأهمهم: (العشائر الآرامية)، التي ربما قدمت من الحدود السورية أو البادية الغربية.

ـ أنه ظل موحداً من الناحية الثقافية ـ اللغوية، حيث حلت (اللغة الآرامية)[4] محل (اللغة الأكدية: البابلية ـ الآشورية) التي ظلت اللغة الوطنية لحوالي ثلاثة آلاف عام. علماً بأن هذه (اللغة الآرامية) الجديدة شبيهة إلى حد كبير باللغة الأكدية السابقة، و(الكنعانية الشامية)، وهي من نفس العائلة اللغوية السامية الشمالية، وهذه اللغة الجديدة قد فرضت نفسها من خلال استخدامها لطريقة كتابية جديدة أسهل من المسمارية، وهي (الكتابة الحروفية الألفبائية: السورية ـ الفينقية).

ـ أما من الناحية الدينية، فإن العراقيين ظلوا متمسكين بديانتهم النهرينية الأصلية (السومرية ـ البابلية ـ الآشورية) القائمة على عبادة النجوم ورموز الخصب، ولكن في القرن الثاني الميلادي بدأوا يتخلّون عن ديانتهم هذه ويعتنقون المسيحية القادمة من الشام، وقد أصبحت المسيحية ديانة الغالبية الساحقة من العراقيين، مع وجود أقليات دينية: يهودية وصابئية ومانوية، كلها أيضاً ناطقة بالآرامية.

إننا أيضاً كما فعلنا في المرحلة السابقة، تناولنا الوضع في منطقة (الأحواز: عيلام) (التابعة لإيران حالياً)، باعتبارها جزءاً جغرافياً ـ حضارياً من جنوب بلاد النهرين،

(4) ـ اقدم المدونات باللغة الآرامية هو(نقوش برراكب) تعود للفترة نحو 730 ق.م، وهي عشرة نقوش بالآرامية القديمة، وكلها بالأبجدية الفينيقة للملك (برراكب) كشفت في سوريا: مدينة شمال عاصمة مملكة يأدي الآرامية.

وليس صدفة أبداً أن (الأحواز) في هذه المرحلة أصبحت أيضاً مثل باقي العراق (آرامية ـ سريانية بغلبة كبيرة للمسيحية) مع أقليات صابئية ويهودية، بل هي أصبحت مركزاً مهماً للثقافة السريانية من خلال مدينة (بيت العابات ـ جندشابور) قرب مدينة (سوسة) عاصمة العيلاميين الأحوازيين التاريخية.

المتغيرات السياسية

من اقدم رسوم الجمال: مسلة الملك الاشوري شلمانصر الثالث في القرن التاسع قبل الميلاد كما لعب الحصان دورا حاسما في انتشار القبائل البدوية الارية، كذلك كان دور الجمل مع الاراميين والعرب!

خلال أكثر من 11 قرناً غابت تماماً أية دولة عراقية، وتحول فيها الوطن إلى ساحة للحروب والمنافسة والتآمر بين القوتين الكبيرتين المتنافستين: إيران، والدولة الأناضولية ـ الأوربية التي تنوعت حقبها تحت مسميات: اليونان، والرومان والبيزنط[5].

تخللت هذه الحقبة ثورات وتمردات فاشلة قام بها العراقيون، رغم السيطرة الإيرانية الغالبة، إلاّ أن الرومان وبعدهم البيزنط، عندما كانوا ينجحون أحياناً باجتياح العراق كانوا ينتقمون من العراقيين قتلاً وحرقاً لمدنهم. فالإمبراطور الروماني (تريانوس) بعدما فتح (المدائن) سنة (115م) أضرم لهيب الاضطهاد في العراقيين وأهلك منهم الكثيرين.

(5) ـ لقد تكرر دور (بلاد الأناضول) باحتلال العراق وبلدان شرق البحر المتوسط (العالم العربي)، من خلال (الدولة العثمانية).

إن مدن العراق (بابل) و(سلوقيا: المدائن، عاصمة السلوقيين اليونان)، و(الحضر)، أخيراً (الحيرة)، كانت على الدوام مركز اهتمام الدول الكبرى التي تشرع باحتلال الشرق الأوسط. قد بدأها (كورش) مؤسس دولة (الفرس الإخمينيين) باحتلال (بابل: عام 539 ق.م) وإعلان إمبراطوريته منها. أعقبه (الإسكندر المقدوني) الذي قرر جعل (بابل)عاصمة لإمبراطوريته العالمية، ثم شيد خلفاؤه (مدينة سلوقية: قرب بغداد الحالية) كعاصمة لإمبراطوريتهم. كذلك إمبراطور الرومان (تراجان، عام 116م) الذي احتل (بابل) وقدَّم القرابين في القاعة نفسها التي مات بها (الإسكندر).

في نفس الوقت عمل هؤلاء المحتلون على قمع أية مدينة نهرينية جديدة تشرع بالنهوض البعيد عن سيطرتهم، وهذا ما حصل لـ (دولة الحضر: غرب الموصل) التي قاومت لعدة قرون محاولات الفرس والرومان لاقتحامها، وأخيراً سقطت ودُمرت على يد الفرس الساسانيين سنة 241م.

وقام (الفرس الفرثيون والساسانيون) باختيار مركزهم (سلوقيا: المدائن) وهي العاصمة السابقة للدولة اليونانية السلوقية في العراق، وأطلقوا عليها اسم (قيطسفون)، بل إن الساسانيين أسهموا في تدمير (بابل) تدميراً نهائياً، وجعلوها مهجورة إلى الأبد قبل أن ينتهي القرن الخامس الميلادي، ومع أن الروايات تذكر أن أسوار بابل كانت ما تزال قائمة غير أنها من الداخل كان خرائب تسرح فيها الوحوش، وأن ملوك ساسان اتخذوها مربعاً من مرابع الصيد والنزهة ولا شيء غيرهما.

هذه المرحلة تشبه تماما فترة (الصراع الايراني ـ العثماني) للسيطرة على العراق وعموم المشرق!

هكذا دائما، ان الجغرافيا تكرر التاريخ[6]. فمشكلة العراق الكبرى، وكذلك ميزته، أنه مركز الشرق الأوسط وساحة صراع الدول المتنافسة المحيطة به. كل دولة تريد السيطرة عليه ليس فقط طمعاً به، بل لكي تمنع الدول الأخرى المنافسة من السيطرة عليه واستخدامه ضدها، وأكبر قوتين متنافستين دائماً للسيطرة على النهرين، هما إيران والأناضول (آسيا الصغرى، أو تركيا). حيث إن العراق (وكذلك الشام ومصر) في هذه المرحلة الآرامية التي أعقبت سقوط بابل، أصبح لمدة 11 قرناً أرض الحروب بين دول إيران المتعاقبة: (إخمين ثم بارث ثم ساسان)، ودول الأناضول المتعاقبة: (إغريق ثم رومان ثم بيزنط). وهذه المرحلة تشبه تماماً المرحلة التي أعقبت سقوط (بغداد) ونهاية الدولة العباسية.

(6) ـ نحن نعتمد منهج الربط بين الجغرافيا والتاريخ: (الجغرافيا التاريخية ـ Historical Geography). =

دور الجغرافيا في الاحتلالات الإيرانية [7]

لمزيد من الوضوح عن الفروق الجغرافية المهمة بين ايران والعراق، نرجو معاينة الخارطة الملونة في ظهر الغلاف الاخير.

لكل بيئة خصوصيتها ومصاعبها ومباهجها: (جبال، سهول، أدغال، بحار، بوادٍ، ثلوج.. إلخ)، وسكان كل بيئة لهم نقاط قوتهم ونقاط ضعفهم الناتجة عن بيئتهم. هنا محاولة لتحديد جوهر العلاقة التاريخية بين العراق وإيران من خلال تحديد الفروق بين الشخصية العراقية والشخصية الإيرانية؛ لأن سياسة أية دولة، في تكرارها وديمومتها التاريخية، لا بد أن تكون نتاج الخصوصية العقلية المستمرة لمجتمعها وبيئتها:

= ـ طالع مثلا:

CONFERENCE REPORT
What Futures for the Pillar of Geography? A Report on the 16th International Conference of Historical Geographers, London

ـ كذلك الكتاب المهم للباحث المصري (جمال حمدان): شخصية مصر.

(7) ـ سبق وأن نشرنا هذه الدراسة بعنوان: الشخصية العراقية والشخصية الإيرانية، العشق الدامي!

الشخصية الإيرانية

الميزة الأولى والكبرى لكيان إيران: أنها هضبة عالية، بارتفاع يقارب (1000م) شبه منبسطة تشكل نصف مساحة إيران، وتتخللها جبال شامخة واثنتان من أكثر صحاري العالم جفافاً وقحلاً: (لوط، وكوير)، وتحيط هذه الهضبة المثلثة ثلاث من أكبر السلاسل الجبلية: زاغاروس وبورز وجبال باكستان وأفغانستان (لاحظ صور الخرائط المرفقة)[8].

إن البيئة الجبلية عموماً تتميز بالمخاطر الدائمة المحيطة: تساقط الصخور وكتل الثلوج، واحتمالات العزلة السريعة بسبب انقطاع الدروب لتساقط الثلوج والجذوع والصخور، ثم إن السير عادة يكون في دروب ضيقة قد تكون محاذية لحفر ووديان، وأية عثرة قد تسبب سقطة مميتة، كذلك هنالك احتمالات وجود أعداء فوقك مختبئين خلف الصخور. لهذا فإن إنسان الجبال يجب أن يكون حاضراً منتبهاً حوله وإلى دربه المليء بالأحجار والعثرات والمخاطر، وأن يتحلى بمقدرة كافية على التحمل البدني والنفسي، ويتمتع بذكاء عملي واقعي يتجنب بطر الخيال والثرثرة[9].

ولكن هذه البيئة تخلق عيوبها الخاصة؛ ففي الجبال عموماً يكون الأفق محدوداً لأن مد البصر يواجه بجدران الجبال المحيطة، لهذا يكون إنسان الجبال ضيق الأفق يصعب عليه الخيال والتحليل، ويأخذ الأمور مباشرة وبدرجة من السذاجة، ثم إن عزلته الجبلية ومحدودية الاتصالات تمنحه قدرة على تحمل العزلة وعدم الميل إلى الكلام والحوار وروح الفرفشة والنكتة والحيلة. إن روحه العملية الواقعية الملتزمة والمنتظمة

(8) ـ راجع مثلا، وكيبيديا: جغرافيا إيران.

(9) ـ بالإضافة إلى الامتياز العسكري للارتفاع، فإن هنالك امتيازاً بدنياً مهماً جداً؛ لأن أهل الجبال عادة تكون رئاتهم أوسع وأنشط. فكلما صعد الإنسان نحو الأعلى، قل الضغط ونقص الأوكسجين بمعدل الثلثين مقارنة مع مستواه عند سطح البحر، فيؤدي هذا إلى ازدياد معدل ضخ الدم من القلب جراء تسارع عملية التنفس ليصل الأوكسجين إلى الدم بأكبر كمية ممكنة، وبالتالي يزداد حجم الرئتين. وعندما يعيشون في السهول يكونون أنشط من أهل السهول لأن رئاتهم النشطة الواسعة تأخذ بسهولة الأوكسجين المتوفر أكثر في السهول. بينما أهل السهول على العكس يفقدون الكثير من قواهم في الارتفاعات بسبب نقص الأوكسجين!
لمزيد من المعلومات عن تأثير الارتفاعات على شخصية الشعب، ابحث بمختلف اللغات عن:
ـ تكيف البشر مع المرتفعات/High – altitude adaptation in humans
ـ كذلك: داء المرتفعات، والمعروف أيضاً باسم مرض الجبال الحاد، hypobaropathy، أو soroche.

لا تسمح له بتفضيل المتع واللعب والتفكير. باختصار فإن الشخصية الجبلية جادة وانطوائية ومنتظمة وصبورة، كذلك عنيدة وضيقة الأفق ولا تحتمل الجدل والخلاف، وذكاؤها عملي أي قليل الكلام وكثير الفعل.

كل هذا ينطبق على الشخصية الإيرانية، وكما يصفها بصورة معبّرة ومكثفة أحد الباحثين الذي ممن عايشها ودرسها: ((الشخصية الإيرانية متدينة بطبيعتها.. باطنية، مركبة، طقوسية، مسكونة بالأسرار، تغرق بالتأمل، وتعشق التجارب الروحية وتدمن الارتياض، وتتسم بالصبر والجلد، والمثابرة، وربما تعيش في حياتها العملية نمطاً مدنياً حديثاً، أي بعيداً عن المدونة الفقهية، لكنها في المجال الشخصي الخاص تنشد الزيارات والمواجيد، والدعاء..))[10]. وليس صدفة انه في جميع البلدان، بما فيها اوربا وامريكا، التي تتكون من قسم سهلي أو ضفاف بحار، وقسم جبلي، فإن سكان السهول يقولون عن اخوتهم اهل الجبال: بأنهم صلبون وعنيدون ومغلقون!

الشخصية العراقية

إنها مناقضة تماماً للشخصية الإيرانية، بمحاسنها وعيوبها؛ لأن بيئة (بلاد النهرين) سهلية ومائية (أنهار ومستنقعات) ومفتوحة بآفاق لا محدودة مثل آفاق البحار والبوادي. ليس هناك مخاطر طبيعية قد تفاجئه بكل لحظة، بل هي مخاطر طبيعية شبه معلومة تتمثل خصوصاً بالفيضان والجفاف، ثم إنه عموماً يسير في دروب عريضة منبسطة مترية لا تتطلب الكثير من الانتباه، وتسمح له بالنظر إلى الآفاق وتأمل السماء والانسراح في الخيال، إضافة إلى أنها طبيعة دافئة معظم السنة، فتعوَّدَ النوم تحت النجوم والغرق في تأملها وحسابها، وتمضية ساعات السمر في عراء الليالي الدافئة.

هذه البيئة السهلية النهرية الدافئة، خلقت أيضاً شخصية سهلة دافئة منفتحة على آفاق عقل وجنون. روح حساسة للجمال وقدرة عجيبة على التخيل والتحليل والإبداع. تميل إلى الحوار والتفكير وحُب المتعة والغناء وإشباع ملذات البدن، من طبخ وطعام وجنس وحياة اجتماعية.

---

(10) ـ عن الشخصية الإيرانية، طالع:
أزمنة التحديث في إيران (1800 ـ 1979)، عبد الجبار الرفاعي.

ثم إن علاقة العراقي الدائمة مع السماء بنجومها ومجاهيلها المحيرة، جعلت ديانته القديمة (سومر وبابل وآشور) تقوم على (عبادة النجوم) وعلم الفلك والتنجيم و(الأبراج الاثني عشر)[11].

وهي تماماً عكس ديانة الإيراني (المجوسية) الأرضية القائمة على عبادة الطبيعة بأحيائها وظلامها ونارها[12].

كل هذا جعل العراق طيلة تاريخه يمتلك هذه القدرة العجيبة على الإبداع الثقافي المنفتح والمتنوع والخصب، وتشييد الحضارات الزاهية الأصيلة غير المقتبسة في أعظم حواضره العالمية: أور وبابل ونينوى، ثم بغداد والبصرة والكوفة.

العراق حضارة، وإيران دولة![13]

((إن هذه كلها أساطير شاهنامة الفردوسي، هؤلاء الذين يدَّعون بوجود أديان أو حكمة في إيران القديمة أو أي شيء ثقافي أو حضاري قبل نشوء الإسلام، لم يقدموا أية وثيقة ولا أية نقوش صخرية ولا حتى مسكوكة نقدية... كل ما هناك نقوش على بعض الصخور والجدران تظهر أن اللغة البهلوية الفارسية فقيرة للغاية، لا توجد في جميع هذه النقوش حتى 200 كلمة يمكن أن نستخدم منها كلمتين للتعبير عن قضايا ثقافية وفنية ودينية جدية، فكلها كلمات بسيطة يومية لا توجد فيها لا حكمة ولا أدب)).

المفكر والمؤرخ الإيراني (ناصر بوربيرار: 1940 ـ 2015)[14].

من يلقِ نظرة على تاريخ العالم وحضاراته، يلاحظ أن جميع الحضارات الكبرى بما فيها الحضارة الغربية الحالية أقيمت في السهول. يكفي معرفة ارتفاعات العواصم الحضارية المعروفة: مصر، العراق، الصين، اليونان، روما، الهند، وصولا إلى إنكلترا وفرنسا وألمانيا. جميعها حضارات سهلية وعواصمها في السهول التي لا ترتفع عن

(11) ـ ابحث في مختلف اللغات عن: علم الفلك البابلي: Babylonian astronomy.
(12) ـ إن المجوسية الأصلية (قبل التأثيرات المسيحية ثم الإسلامية فيما بعد)، هي أقرب إلى المستوى الأول من الديانة البشرية، ولم تبلغ المستوى الثاني (التصويري) أي صنع الأوثان التي تمثل الآلهة، ناهيك عن المستوى الثالث (التجريدي السماوي المطلق) الذي عبرت عنه المسيحية ثم الإسلام، وبعض عقائد آسيا، مثل التاوية والبوذية.
(13) ـ عن تعريف الحضارة، وضحنا ذلك بالتفصيل في الفصل السابق.
(14) ـ ابحث عن اسم هذا الباحث الإيراني (ناصر بوربيرار) وهنالك مقالات وفيديوهات كثيرة له وعنه.
عن تصريحه هذا ابحث: الباحث الإيراني ناصر بوربيرار يقلب التاريخ الإيراني رأساً على عقب!

مستوى سطح البحر، أما الجزر والجبال وبوادي الرمال أو الثلوج، بسبب العزلة وصعوبة التواصل، لا تسمح بانبثاق دولة قوية ولا حضارة زاهية. (مثال: جبال كردستان، وصحراء نجد وتركستان وثلوج سيبيريا، وجزر أندونيسيا وجنوب آسيا... إلخ). لكن الهضاب الجبلية العالية والواسعة، مثل الأناضول وإيران عكس ذلك تسمح بتأسيس دول قوية محمية بالجبال، بل إنها تصبح قلاعاً حصينة تتوسع نحو البلدان المحيطة بها لتشكل إمبراطوريات كبرى، آخرها الصفوية الإيرانية والعثمانية التركية، ولكن بنفس الوقت ـ كما ذكرنا ـ فإن طبيعتها الجدية والعملية تمنعها من تكوين حضارات ثقافية متميزة، وأقصى ما تستطيعه أن تكسب الحضارة من الآخرين (سنفصل موضوع إيران والحضارة).

هنا بالضبط يتجلى التناقض بين الشخصيتين العراقية والإيرانية، ويبلغ أقصى درجاته في أخطر موضوع بجانب موضوع (الحضارة)، ألا وهو موضوع (السياسة)، أي طبيعة العلاقة التاريخية مع (الدولة)، ويمكن وصف هذا التناقض كالتالي:

ـ من ناحية تمتُّع إيران بشرط جغرافي مهم جدًّا لتكوين دولتها، فهي هضبة واسعة وعالية محاطة بالجبال المنيعة الشامخة من كل ناحية، أشبه بالقلعة الجبارة المسورة، وهذا ساعد دائماً على تكوين دولة صلبة محمية وقادرة بسهولة على فرض هيمنتها وتوحيد شعوب الهضبة الإيرانية رغم اختلافاتهم القبائلية والقومية. أكبر مثال على مدى قوة الطبيعة التوحيدية للدولة الإيرانية، أن أعظم دولتين وطنيتين وحدَّتا إيران خلال القرون الأخيرة ـ الصفوية ثم القاجارية ـ لم يحكمهما الفرس، بل سلالة آذربيجانية ناطقة بالتركية! بل حتى (رضا شاه) مؤسس إيران الحديثة له أصول قفقاسية تركية. أخيراً لا ننسى أن الكثير من قيادات الدولة الإيرانية الحالية، هم (سادة علويون) أي أصول عربية، مثل الخميني وخاتمي والخامئني. كل هذا لكي نبين كيف أن (قوة وديمومة الدولة الإيرانية) ظلت أقوى من الأصول القومية، وهي صانعة الهوية الوطنية المشتركة.

أما العراق، فمن سوء حظه، رغم سهوله ونهريه وقدراته الفائقة العقلية والحضارية، ظل دائماً أرضاً مفتوحة سهلة الاجتياح، لعدم وجود أية موانع طبيعية تحميه؛ لا جبال ولا صحاري قاحلة ولا بحار شاسعة. إنه وادٍ خصيب سهلي تشرف عليه أعتى الهضاب

العالية الجبارة: هضبة إيران وهضبة الأناضول، بالإضافة إلى البوادي الشاسعة من الغرب والجنوب، وهذا الوضع أدى خصوصاً بعد ظهور الدول في هضبتي الأناضول ثم إيران، منذ أواسط 2000 ق.م إلى كثرة اجتياحات القبائل الجبلية القادمة من جبال زاغاروس المجاورة وكذلك من هضبتي إيران والأناضول: حوريون وميديون.، ثم بدأ الاحتلال الفعلي الإيراني، منذ الإخمينيين الذين أسقطوا بابل (539ق.م)، حتى الخامنئيين في الوقت الحالي!

سبب هوس إيران باحتلال العراق!

إن هذا الاندفاع الجنوني الإيراني للسيطرة على بلاد النهرين، نابع من الوضع التالي:

إن إيران طيلة تاريخها ظلت تعاني من عدم وجود السهول الواسعة المنفتحة، فالسهل الوحيد المتوفر لديها هو شاطئ بحر قزوين، لكنه ضيق يتراوح بين 2 كلم وأقصاه 50 كلم، ثم إن هذا البحر بالحقيقة هو بحيرة كبيرة مغلقة لا تمنح أية آفاق اقتصادية أو حضارية، كما هو حال البحر المتوسط مثلا، ثم إن جميع البلدان المحيطة بإيران، هي مثلها، أيضاً هضاب وجبال عصية: الأناضول والقفقاس وأفغانستان ثم الهند (باكستان فيما بعد). أما (تركمانستان) المجاورة فهي سهلية لكنها عموما صحراوية. أما ساحل الخليج، فهو ضيق جداً وتطل عليه جبال زاغاروس مباشرة. فمثلاً إن موانئها على الخليج مثل (بندر عباس وبوشهر) تستفيد من جزر محاذية، (بالمقارنة مع بلاد الأناضول مثلاً، أي تركيا، رغم الهضبة والجبال، فإنها تتمتع بسهول بحرية كبيرة على سواحل المتوسط والأسود والفسفور. يكفي القول أن العاصمة إسطنبول سهلية ساحلية). إذن ليس أمام إيران كي تتوسع وتتنفس هواء السهول والبحار، غير هذا الوادي النهري الخصيب والمنفتح والواقع مباشرة تحت جبالها (زاغاروس) على أطول حدود لها والتي تبلغ (1458 كلم، عدا الأحواز)، والذي يثير الشهوة أكثر، أن هذا الوادي النهري ليس مليئاً بالخيرات الزراعية فحسب، بل فيه الخيرات الحضارية والإبداعية المذهلة، التي طالما خلبت لبّ الإيرانيين المحرومين من هذه الروح الإبداعية الفانتازية، ثم إن احتلال العراق يعني بلوغ شواطئ البحر المتوسط الواعدة، حيث سواحل الشام، ثم مصر.

هكذا تمكنت إيران طيلة التاريخ من استثمار تفوقها الجغرافي وصرامة شعبها الجبلي، لتفرض احتلالها للعراق السهل والممتع أرضاً وشعباً. استمروا خلال قرون طويلة منذ

احتلالهم بابل في القرن السادس ق.م حتى القرن السابع ب.م حيث حرره العرب المسلمون (633م)، ثم عاودت إيران محاولاتها الاحتلالية مع الدولة الصفوية ولكنها فشلت عموماً أمام قوة العثمانيين، وليس صدفة أنها أصرت على احتلال الأحواز العربية العراقية، لأنها السهل الوحيد حالياً لإيران، بالإضافة إلى أهمية موانئ الأحواز على الخليج، ثم ثروتها النفطية الهائلة التي تعيش عليها إيران. (ناهيك عن اغتصاب تاريخ الأحواز القديم وحضارته العيلامية التي هي جزء من حضارة النهرين، وشقيقة للحضارة السومرية)!

ومن عجائب التاريخ الإيراني، والدليل على مدى هوسها بالعراق، أنها دائماً جعلت عاصمتها في (النهرين): بابل، ثم سوسة (الأحواز) و(المدائن) قرب بغداد الحالية. ودائماً تبنَّت الثقافة والكتابة واللغة النهرينية: البابلية ثم الآرامية، بل حتى المسيحية العراقية (النسطورية) تغلَّبت على المجوسية في إيران نفسها، ثم تبنَّت الإسلام العربي العراقي، وأخيراً التشيع العراقي. (سنفصل هذا الموضوع في باقي الفصول).

***

الدول الأجنبية التي تعاقبت على احتلال العراق

الاثر الوحيد الذي تتفاخر به ايران عالميا، ما يسمى بـ(اسطوانة كورش)، وقد سجل فيها هذا الامبراطور بعد احتلاله (بابل) كيف انه قد حقق العدالة بين الجماعات في بلاد النهرين. لكن بناء على هذه الاسطوانة، اعتبر اليهود (كورش) هو محررهم ومعيدهم الى فلسطين. وهذا خيـــال، فليس هنالك كلمة واحدة في النقش تشير الى اليهود او العبريين او اسرائيل، بل جميعها اسماء جماعات نهرينية![15]

(15) ـ عن عدم ذكر أي كلمة عن اليهود، طالع مثلا:
ويكيبيديا بالفرنسي والانكليزي: Cyrus Cylinde وهذا نص ما تذكر: =

علما وهذا مهم جدا: ان النقش مكتوب باللغة والكتابة الاكدية العراقية، وعُثر عليه في بابل!؟ وقد كشفت دراسة جديدة في جامعة (ييل الامريكية)، أن هذه الاسطوانة كانت تعود بالأصل الى آخر ملك بابلي (نبونيد) ولكن (كورش) استولى عليها وأضاف اليها أسطرا باسمه.في عام 2018 اصدرت اسرائيل قطعة نقدية فيها صورتا (ترمب وكورش)، باعتبارهما قد حققا حلم اسرائيل بتحويل القدس الى عاصمة لليهود!

1 ـ الدولة الإخمينية (الإيرانية) (539 ـ 323 ق.م)[16]

دخل (كورش ملك الاخمينيين) والذي مجدته التوراة[17]، إلى (مدينة بابل)[18]

= The Cylinder's text has traditionally been seen by biblical scholars as corroborative evidence of Cyrus' policy of the repatriation of the Jewish people following their Babylonian captivity[4] (an act that the Book of Ezra attributes to Cyrus[5]), as the text refers to the restoration of cult sanctuaries and repatriation of deported peoples.[6] This interpretation has been disputed, as the text identifies only Mesopotamian sanctuaries, and makes no mention of Jews, Jerusalem, or Judea

(16) ـ وهي الدولة التي يفتخر بها عادة الإيرانيون ويبدأون بها تاريخهم الوطني، وحتى الآن يحتفل الإيرانيون بـ(سقوط بابل) كـ(يوم وطني) باسم (يوم كورش)، كل عام نهاية (تشرين الأول ـ أكتوبر): ابحث في اليوتيب: (يوم كورش)، وهنالك فيديوهات عديدة تصور احتفالات القوميين الإيرانيين.

(17) ـ من دلائل الاهمية السياسية الإيرانية والعالمية لـ (الملك كورش)، ذلك النص الذي كتبه وزير خارجية إيران (ظريف) في تويتر في(23.3ـ 2019)، رداً على وزير خارجية امريكا الذي اتهم إيران بمعاداة اليهودية، وكان رد الوزير الإيراني بالاستناد إلى التوراة: ـ أنقذ (كورش) ملك الفرس اليهود من الاستعباد في بابل./ أنقذ ملوك فارس الآخرون اليهود من الإبادة الجماعية.

ـ جرى تشجيع مخططي الإبادة الجماعية (لليهود) من قبل أهالي النقب وليس فارس./ ملك الفرس هو الأجنبي الوحيد الذي أطلق عليه اسم «المسيح ـ المنقذ».

لكن آثار تلك الفترة تكشف بصورة جلية عن زيف ادعاءات التوراة. فإن (اسطوانة كورش) الشهيرة التي دونٍ فيها انجازته، لم تذكر كلمة واحدة عن اليهود واسرائيل واورشليم، بل تحدثت فقط عن بلاد النهرين.

علماً بأن المصدر الوحيد المكتوب في زمن الملك كورش، الذي تم العثور عليه حتى الآن، يتمثل بالاسطوانة الشهيرة (اسطوانة كورش: Cyrus Cylinder) التي عثر عليها في «بابل»، الآثاري العراقي العالمي الشهير «هرمز رسام» عام 1879، وهي مكتوبة بالخط «المسماري» و«اللغة الاكدية» العراقية. فيها يتحدث «كورش» على طريقة ملوك العراق، عن اعماله وبطولاته وانجازاته في «بابل».

من تفاصيل نص «اسطوانة كورش» يتضح بصورة جلية بأنه قد تبنى الحضارة البابلية، ثقافة ولغة ودينا. من اولى الادلة على هذا، أنه كتب نصّه بالخط المسماري واللغة الاكدية العراقية.

ـ عن (اسطوانة كورش) يكفي وضع هذه العبارة بالعربية. أو بالانكليزية: Cyrus Cylinde

(18) ـ إن سقوط (بابل) لم يكن فقط نتيجة قوة الغزاة، بل سبقه تدهور الدولة البابلية والانشقاقات بين طبقتها الحاكمة. فقد قرر آخر ملوكها «نبونائيد» هجرها والاستقرار في «التيماء» الصحراوية في شمال «الحجاز» حيث أقام فيها عشر سنوات، وجعل ابنه «بلشاصر» نائباً عنه. ويعتقد أن هنالك دافعاً اقتصادياً غايته خلق طريق جديد للتجارة مع الجزيرة ثم الهند، بدلاً من طريق الحرير الذي سيطر عليه الفرس الإخمينيون. كذلك رغبة (نبونيد) بامتلاك حرية تعبده لإله القمر (سين)، الذي يرفضه (كهنة بابل) الذين يقدسون إله النور (مردوخ).

نحن مع الفرضية القائلة بأن (نبونيد) مع أنصاره الذين يعدون بالمئات، والذين انقطعت أخبارهم تماماً، قد انحدروا فيما بعد إلى الحجاز، وربما هم (قبيلة قريش) الذين شيدوا (مكة)، وقد يفسر هذا قول الخليفة (علي): نحن معشر قريش نبط من الكوثى (الكوفة قرب بابل). =

سنة 539 ق.م ليدشن بداية لفترة احتلالية طويلة، وقام بتوحيد بابل مع بلاده في وحدة شخصية وانتحل لقب (ملك بابل وملك الأصقاع)، وعيَّن ابنه قمبيز نائباً للملك وسكن في سيبار (جنوب العراق). اعتمد الإخمينيون على دعم الكهنة وطبقة رجال الأعمال في المدن. في أسطوانة بابلية، يدَّعي كورش بفخر احتلاله لمدينة بابل بطريقة سلمية غير دموية، وبذات الوقت يتحدث عن مردوخ كملك الآلهة. إن اعتداله وتحفظه قد أثمرا، فقد أصبحت بابل أغنى مقاطعة في إمبراطوريته[19].

وقد ازداد تمسك النهريين بثقافتهم الوطنية وأصبح اسم الملك العظيم (نبوخذ نصر) رمزاً لنزعتهم الاستقلالية وحمل اسمه كل ثائر في بلاد بابل، ويظهر من قوائم أسماء المولودين في عهد الاحتلال تدنّي نسبة الذين سموا أبناءهم بأسماء فارسية على عكس الفرس الذين انتقلوا إلى العراق واليهود الذين استخدموا الأسماء البابلية بكثرة، ولم يعتنق السكان الديانة الزرادشتية، فلم تكشف البقايا الأثرية أية آثار لمعبد نار في العراق. ظلت العوائل المالكة الإخمينية تسكن في القصور في بابل، ولكن اللغة الآرامية العراقية أصبحت بالتدريج لغة الإدارة الرسمية. أحد المصادر الأساسية للمعلومات عن هذه الفترة هو أرشيف الرقم الطينية للبيوت التجارية لموراشو وأبنائه في نيبور للسنوات 455 ـ 403 ق.م، والتي تتحدث كثيراً عن الدور المهم الذي لعبه الإيرانيون في البلاد. ملكيات الولاية كانت بأيديهم. فهم يسيطرون على الكثير من الإقطاعيات، وتجمعوا بطبقات اجتماعية وفقاً لجذورهم ووظائفهم. أما رجال الأعمال فكانوا على الأغلب بابليين وآراميين[20].

= ـ ابحث عن (نبونيد والتيماء).
كذلك دراسة: الدكتور سعيد بن فايز السعيد: حملة الملك البابلي «نبونائيد» على شمال غرب الجزيرة العربية: بحوث تاريخية صادرة عن الجمعية التاريخية في السعودية.

(19) ـ أسطوانة قورش (Cyrus Cylinder) هي قطعة صغيرة (طولها 22.5 سم وعرض 8.9 سم) مفخورة اكتشفها في عام 1879 عالم الآثار العراقي (هرمز رسام) في بابل، وهي اليوم في المتحف البريطاني. نقشت عليها كتابة مسمارية باللغة الأكدية بيان باسم (قورش الكبير) ملك الأخمينيين يشيد بنفسه وبنسبه ويذم (الملك البابلي نبو نيد) المهزوم. ويخاطب البابليين لاقناعهم بان اله بابل (مردوخ) أرسله لإنقاذهم.
ومن المعروف ان هذه الاسطوانة استخدمها اليهود في العصر الحالي كدليل على سياسة قورش المساندة لليهود. لكن كان هذا التفسير محل نزاع، حيث إن النص لم يذكر سوى جماعات بلاد ما بين النهرين، ولا يذكر أبداً اليهود أو القدس أو يهودا.

(20) ـ عن الدولة الإخمينية والعراق، طالع:
ـ عن حياة كورش، ينصح بمطالعة ويكيبيديا الفرنسية أو الإنكليزية (Cyrus the Great). =

2 ـ الدولة السلوقية (اليونانية) (320 ـ 141 ق.م)

انتهى الاحتلال الإخميني على يد (الإسكندر المقدوني) (331 ـ 323 ق.م) الذي تقدم على رأس جيش إغريقي ـ مقدوني ليهزم دارا الثالث في معركة (گوگميلا: مكان بين أربيل والموصل) شمال العراق، ويدخل بابل ويستولي على أملاك الإخمينيين في العراق وعيلام وفارس.

وبعد وفاة الإسكندر قسّمت إمبراطوريته بين قادته وكان العراق من نصيب سلوقس عام 311 ق.م مؤسس الدولة السلوقية، وقد اختار موقعاً قرب بغداد (المدائن الحالية) ليكون عاصمة لإمبراطوريته، وأطلق عليها تسمية (سلوقيا، على اسمه)، وقد اتسم هذا العهد بالاضطرابات والنزاعات بين الطامعين بينما وقف السكان موقفاً سلبياً من تلك الأحداث. احترم الحكام الإغريق الكهنة المحليين لبلاد النهرين، ولا يوجد

= أما التي بالعربية فهي مشوهة وغبية.
كذلك عن تبعية الإخمينيين للحضارة العراقية:
ـ بالإضافة إلى (بابل) كعاصمة رسمية وحضارية، اتخذ الإخمينيون عواصم ثانوية أخرى: مدينة سوسا في الأحواز، ومدينتي (أكبتان)، و(تخت جمشيد ـ برسبوليس) في إيران.
ـ عن تقليد الإيرانيين للفنون والبناء في العراق القديم:
ـ دي جوبينو: تاريخ الفرس؛ هنري برستد: انتصار الحضارة ص 65 ـ 273.
ـ د. فريد الشافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية ـ المجلد الأول ـ ص162 ـ القاهرة 1994.
ـ كذلك طالع دراسة مهمة منشورة حول الموضوع للباحث والمعماري العراقي (علي ثويني): الأثر العراقي في العمارة الإيرانية.

سجل لأي اضطهاد ديني، بل بالعكس فقد فضَّل الحكام الممارسات الدينية المحلية، واستمرت الأشكال القديمة للعبادة. استمرت الكتابات المسمارية من قبل الكهنة والذين استنسخوا التعويذات والنصوص الدينية القديمة حتى العهد الفرثي.

لجأ اليونانيون إلى إلغاء الدور المحلي للمجتمعات المحتلة وفرض أسلوبهم من خلال بناء مدن جديدة خصصت لليونانيين. غير أنهم اضطروا إلى منح المجتمع البابلي دوراً، فعادت المدن الكبيرة إلى دورها السابق ولكن بطابع جديد يطمس دور الشخصيات البابلية من خلال تسميتهم بأسماء إغريقية.

كانت تستخدم في العاصمة (سلوقيا) ومراكز الأقاليم اللغتان الإغريقية والآرامية كلغات حكومية مكتوبة. لقد أوقف استخدام الخط المسماري في الوثائق الحكومية لفترة من الزمن خلال العهد الإخميني، ولكنها استمرت في النصوص الدينية لغاية القرن الأول الميلادي، حيث حلَّت الكتابة الألفبائية القادمة من سوريا[21].

انبهار الإسكندر بمدينة بابل

كان (الإسكندر المقدوني) يكنّ إعجاباً وهيبة كبيرتين لبابل، التي كانت لم تزل تحمل سمعتها السابقة كعاصمة حضارية للدنيا كلها. عندما اقترب الإسكندر من أسوار بابل طلب من جنوده الاصطفاف والانتظام في مسيرتهم، وأراد أن يظهر للبابليين أنه جاء لتحريرهم من البطش الفارسي. ففتحت البوابات وخرج كبار المسؤولين لاستقباله يرّشون الأرض أزهاراً ويحملون أواني فضية للبخور والعطور، وجاء قائد الحامية الفارسية بقطيع من الأغنام والخيل، ومن ورائه الكهنة يرتلون أناشيدهم ويعزفون موسيقاهم، ودخل الإسكندر المدينة ممتطياً عجلته الحربية، حتى وصل إلى قصر الملوك وسط بابل الذي بناه نبوخذ نصر. انبهر بالحضارة البابلية وأراد أن يجعل من بابل عاصمة إمبراطوريته العالمية. لكن كما يبدو أن حاشيته قد تخوفوا من هذا الانقلاب الثقافي الكبير الحاصل في ملكهم فقرروا التخلص منه، ويعتقد أنه مات مسموماً، وكان قد أمر بإنشاء أكثر من ميناء في جنوب العراق، في المحمرة (الأحواز) وجزيرة فيلكة، كذلك في البصرة التي سماها (أيبلا) على اسم أمه. كان الإسكندر يريد الذهاب بحملة إلى بلاد العرب لكن موته منع الحملة. قيل إنه بعد وفاته طلب بطليموس ملك مصر بنقل الجثمان إلى الإسكندرية في مصر ودفنه هناك، ولكن لم يعثر على قبره حتى الآن.

(21) ـ عن الدولة السلوقية في العراق: للسهولة طالع ويكيبيديا بالعربي والفرنسي والإنكليزي (Seleucid).
ـ كذلك طالع عن الحضارة الهيلينية: Hellenic: وهي الحضارة اليونانية الأولى، ثم الهيلينستية: Hellenistic وهي الحضارة اليونانية التي نشأت في الشرق وخصوصاً في (الإسكندرية ـ مصر) بعد غزو الإسكندر، بين القرن الرابع ق.م حتى القرن الخامس م.

3 ـ الدولة البارثية (أو الفرثية) (الإيرانية) 140ق.م ـ 266م

قطعة نقد فرثية مكتوب عليها باليونانية. إذ كانت اليونانية هي اللغة الرسمية للفرثيين مع بقاء (اللغة الاكدية العراقية) لغة التداول العام. اما لغتهم (الفرثية: الفارسية الوسطى) فبقيت لغة شعبية ودينية غير مكتوبة. وكانوا يكتبون على نقودهم باليونانية: (**philhellène**)، اي نحن من اتباع الثقافة الهيلينية(اليونانية).

ويسميهم العرب أيضاً (الأشكانيون). ليست هنالك معلومات كثيرة عن هذه الحقبة، فكالعادة ظل الفرس رغم دولهم، عاجزين عن كتابة تاريخهم، بل عن طريق المصادر السريانية واليونانية. الذي نعلمه أنه بعد أن ثارت القبائل في شمال إيران على حكم السلوقيين اليونان وأقامت على أنقاضهم الدولة البارثية سنة 250 قبل الميلاد، وقد امتد حكم هذه الأسرة في إيران ما يقرب من خمسة قرون، من سنة 250 ق.م، إلى سنة 226 م[22].

من خلال نقودهم يتضح أنهم تبنوا لغة اليونان وافتخروا بحضارتهم، بالإضافة إلى اللغة الآرامية العراقية التي شاعت بينهم. تركوا لمستعمراتهم نوعاً من الحكم الذاتي واهتموا أساساً بجلب الضرائب.

ـ أما ديانة الفرثيين، فهنالك إشارات أنهم كانوا يؤمنون بالمجوسية وبالإله (أهورا

(22) ـ كالعادة فإن الفرس ظلوّا عاجزين عن ترك أي وثائق أدبية وتاريخية (عدا نقوش الملوك). لهذا فإن المؤرخين يعتمدون على المصادر اليونانية والعراقية عن تاريخ الدول الإيرانية.
إن أول نص يذكر (بغاياشا) الملك الفرثي الذي أسقط الدولة السلوقية واحتل العراق، مدون على لوح مسماري بابلي محفوظ في المتحف البريطاني ويحمل الرمز (BM 45709) يتحدث عن جيش فرثي قد دخل مدينة بابل في عام 174 بالتقويم السلوقي و138 بالتقويم الميلادي.

مزدا)، ولكنهم لم يجعلوها ديانة رسمية، وفي العراق كانوا يتعبدون لآلهة بابلية مثل (شمش ـ الشمس) إله النور والعدل[23].

ـ أما لغتهم الفرثية (البعيدة أيضاً عن الفارسية الحالية) فقد تبنت أيضاً (الكتابة الآرامية العراقية السورية)، وأطلق عليها (اللغة والخط الفهلوي أو البهلوي) ويكتب من اليسار إلى اليمين، ولم يترك أية نصوص ثقافية أو دينية، بل بعض النتف المنقوشة على النقود والأواني والفخاريات.

ومن أهم النصوص الفرثية المتبقية، مجموعة أشعار مقدسة لدى المجوس اسمها (الشجرة الآشورية ـ Drakht ـ i Asurig) وهي حوار بين (نخلة ووعل)، وقد ترجموها عن نصوص بابلية دينية، ثم نسبوها إلى المجوسية[24]، ومن دلائل ضعفهم اللغوي والثقافي، استمرارهم باستعمال اليونانية كلغة رسمية، فجميع نقودهم مكتوب عليها باللغة اليونانية، بل يكتبون عليها عبارة (philhellènes: friends of the Greeks): نحن أصدقاء الهيلينية ـ أي الحضارة اليونانية[25] ـ ولمعرفة وضعهم اعتمد المؤرخون على منحوتاتهم ونقودهم، وكذلك على المصادر المكتوبة بالآرامية واليونانية والرومانية والصينية[26].

ـ أما بالنسبة للعراق، فإن البارثيين قد اختاروا (سلوقيا ـ المدائن) في العراق كعاصمة شتوية لهم، وأطلقوا عليها تسمية (قيطسفون ـ Ctésiphon). كذلك بدأت المسيحية القادمة من سوريا، تحل محل (الديانة البابلية) في العراق، حيث أصبحت (سلوقيا ـ المدائن) مقر الكنيسة المشرقية (كنيسة بابل) حوالي (79 ـ 116م). إن تسمية (اللغة السريانية) استخدمها المسيحيون في سوريا والعراق بدلاً من الاسم الوثني القديم: اللغة الآرامية! كذلك ظهرت إمارات عراقية شبه مستقلة على طول نهر الفرات ولاسيما إمارة (بيت عديني) الكلدانية وإمارة (ميسان) في الجنوب وإمارة (الحضر) في الشمال، وكانت فترة حكم البارثيين مليئة بالأحداث التاريخية والحروب الكثيرة

(23) ـ عن تقديس الفرث لآلهة بابل:
ـ Garthwaite 2005, pp. 68, 83 ـ 84; Colpe 1983, p. 823; Brosius 2006, p. 125

(24) ـ عن نصوص (الشجرة الآشورية ـ DRAXT Ī ĀSŪRĪG) طالع:
الموسوعة الإيرانية: http://www.iranicaonline.org/articles/draxti-asurig

(25) ـ الفرثيون (نحن أصدقاء الهيلينية)، طالع:
Garthwaite, Gene Ralph (2005), The Persians, Oxford & Carlton: Blackwell Publishing

(26) ـ عن كتابة تاريخ البارثيين عبر المصادر اليونانية والآرامية والصينية: نفس المصدر 17، كذلك:
ـ Warwick (2016), Rome in the East: Transformation of an Empire, London & New York

بين الفرس والرومان الذين يسيطرون على كل ضفاف البحر المتوسط، بما فيها سوريا والأناضول المجاورتان للنهرين؛ لهذا قد تحول العراق كالعادة إلى ساحة للحرب بين هاتين الدولتين المتنافستين، ومن أهم الأحداث، عندما هاجم الإمبراطور الروماني (تراجان) العراق في عام 116م، ولكنه وقع أسيراً في (المدائن)[27].

4 ـ الدولة الساسانية (الإيرانية) (224 ـ 637م)

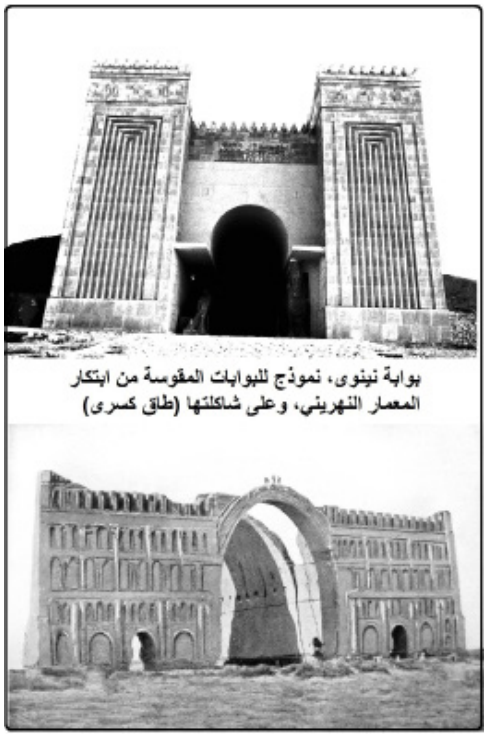

بوابة نينوى، نموذج للبوابات المقوسة من ابتكار المعمار النهريني، وعلى شاكلتها (طاق كسرى)

القصر الملكي(طاق كسرى) في (طيسفون ـ المدائن). وقد تم تشييده بمساعدة من الامبراطور البيزنطي (جستنيان) الذي بعث إلى صديقه (كسرى) الرخام اليوناني والصناع المهرة الذين شيدوا القصر على الطراز الروماني المتأثر بالمعمار النهريني الذي اول من ابتكر الاقواس.[28]

(27) ـ عن ثقافة الفرثيين ولغاتهم، طالع مصدراً سهلاً ومفصلاً (ويكيبيديا الإنكليزية: Parthian Empire). كذلك:

Green, Tamara M. (1992), The City of the Moon God: Religious Traditions of Harran, BRILL ـ

ـ Skjaervo, Prods Oktor. «IRAN vi. IRANIAN LANGUAGES AND SCRIPTS (2) Doc ـ Encyclopaedia Iranica»

ـ Chyet, Michael L. (1997), Culture, and Language in the Near East.

(28) ـ كتاب قصة الحضارة: ديورانت: الجزء 13 ص/349

وهي عشيرة فارسية كانوا من كهنة المجوسية، وقد تمكن ملكهم (أردشير) من إنهاء (الإمبراطورية الفرثية) في معركة (هرمزدگان 224م) في جنوب العراق والأحواز، التي قتل فيها آخر إمبراطور فرثي (أرطبان الخامس Artaban V)، ثم استولوا على العراق.

كذلك أصبحت (قيطسفون: المدائن) العراقية العاصمة الرئيسة لهذه الإمبراطورية، وهي أيضاً عاصمة الثقافة السريانية، ومقر القيادات الدينية للمسيحية والمانوية واليهودية.

اتسم حكمهم على المستوى الخارجي بحروبهم مع الرومان، وعلى المستوى الداخلي بالانقسامات في الأسرة الحاكمة، كذلك الاضطهادات المستمرة للمسيحيين الذين كانوا يصرون على رفض اعتناق المجوسية، بل ونشر المسيحية في بلاد فارس نفسها وبين أفراد الأسرة الحاكمة.

كان الجيش الساساني متكوناً من أقلية فارسية، والغالبية من العراقيين والأتراك والإغريق. بالنسبة للمجتمعات غير المؤمنة بالزرادشتية، كانت تفرض عليهم ضرائب إضافية بين حين وآخر.

(معركة القادسية 636م) ونهاية الحكم الإيراني وحلول عصر الحضارة العربية الإسلامي: وكانت تلك المعركة التي انتصرت فيها الجيوش العربية المسلمة، قد أنهت الوجود الفارسي في العراق، وقد توقف العرب عند حدود العراق وإيران حيث جبال زاخاروس المنيعة الصعبة[29]، لكن المشكلة أن آخر ملك ساساني (يزدجرد الثالث)، بعد هربه إلى إيران، لم يكن حكيماً ليكتفي ببلاده، بل ظل يأمل باسترجاع العراق، رئة الإمبراطورية الإيرانية على مر الزمن. بعد أن استمر باعتداءاته على الحدود وتهديداته المستمرة وتحريك جيشه، اضطر العرب إلى اجتياح إيران والانتصار في (معركة نهاوند 642م)، التي أنهت تماماً حلم (يزدجرد) الذي هرب إلى خراسان حيث اغتاله أحد أتباعه.

***

(29) ـ حول رغبة العرب بتجنب غزو إيران، هنالك قول شهير ينسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب: (وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم). تاريخ الطبري 3: 176.

مستجدات المجتمع ومعالم النهضة

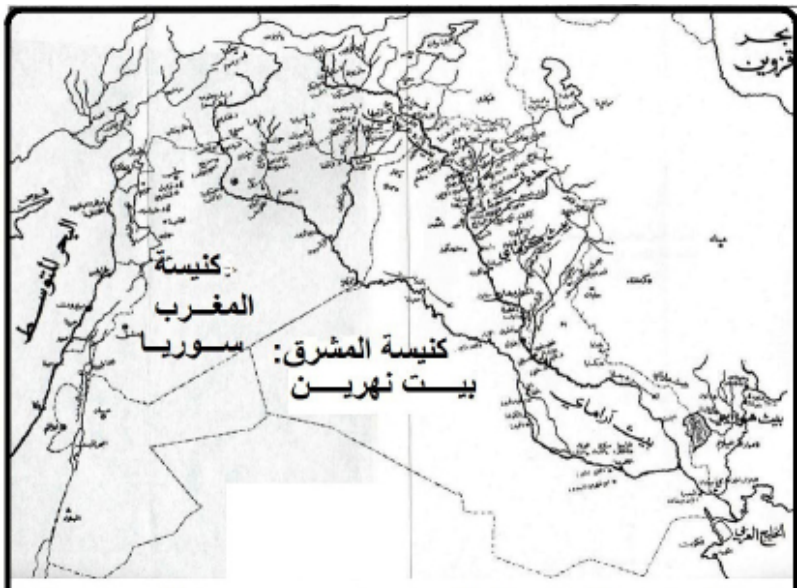

الكنيسة السريانية(الآرامية) قد تميزت بالاسم حسب موقعها الجغرافي: الشرقية في النهرين(مع الاحواز)، والمغربية في الشام

رغم الضعف السياسي والعسكري للعراقيين في هذه الحقبة، إلاّ أنهم تمكنوا من الحفاظ على هويتهم السكانية والثقافية والدينية المتميزة عن الإيرانيين والإغريق والرومان، بل إن العراق ظل مركزاً سياسياً مهماً للقوة الحاكمة، بحيث إن الإسكندر المقدوني اتخذ بابل عاصمة لإمبراطوريته العالمية، ومات ودفن في بابل. كذلك من بعده الدولة اليونانية السلوقية التي حكمت الشرق اتخذت من (طيسفون ـ المدائن) جنوب بغداد عاصمة لها. كذلك تحولت هذه المدينة العراقية إلى عاصمة شتوية للإيرانيين.

وقد تعرضت الثقافة العراقية إلى تغيير جذري من الناحيتين اللغوية والدينية، وأكبر دليل على عمق الهوية النهرينية وتجذّرها هو أن هذا التغيير اللغوي والديني لم يأت بتأثير القوى الإيرانية والإغريقية المهيمنة، بل هو تطور داخلي طبيعي، إذ فشل المحتلون بنشر لغاتهم وأديانهم بين العراقيين.

ـ التغيير اللغوي: حلت اللغة الآرامية (النهرينية الشامية) محل اللغة الأكدية،

وهاتان اللغتان قريبتان لبعض، فهما من نفس الأصل، وقد فرضت الآرامية نفسها من خلال الكتابة الأبجدية (الحروفية) التي اخترعها الشاميون وحلَّت محل الكتابة المسمارية (الرمزية) التي لم تعد تواكب العصر.

ـ التغيير الديني: صمد اهل النهرين بوجه التأثير الإيراني المجوسي والديانة الإغريقية، وظلّوا محافظين على ديانة أسلافهم (عبادة الكواكب ورموز الخصب) حتى القرن الثاني الميلادي، حيث بدأت تحل بالتدريج الديانة المسيحية الشامية، كذلك انتشرت الديانة الصابئية (المندائية) ثم المانوية البابلية.

لقد بلغت قوة العراقيين الحضارية أنهم فرضوا الكثير من موروثاتهم الثقافية على المحتلين أنفسهم. إذ أصبحت اللغة الآرامية (السريانية) لغة الثقافة الأولى في الإمبراطورية الإيرانية نفسها، وانحصرت اللغة الفارسية (البهلوية) في البلاط الحاكم ورجال الدين المجوس، بل إن الإيرانيين اقتبسوا الأبجدية السريانية لكتابة لغتهم البهلوية، بعد تخليهم عن الكتابة المسمارية العراقية أيضاً!

حقبتا السبات والصحوة

يمكن تقسيم المرحلة الآرامية الطويلة الممتدة خلال (11) قرناً، إلى فترتين:

1. حقبة السبات

وتمتد حوالي سبعة قرون، من القرن السادس قبل الميلاد حيث سقطت (بابل) عاصمة آخر دولة نهرينية، على يد الفرس، حتى نهاية القرن الأول الميلادي حيث بدأ انتشار المسيحية الشامية في العراق. وقد ظل العراقيون خلالها في سبات حضاري بسبب شدة الانتكاسات التي توالت عليهم وفشل ثوراتهم المتوالية ضد الفرس والإغريق. رغم أن السلالة السلوقية الإغريقية قد اتخذت (سلوقيا ـ قرب بغداد) عاصمة لإمبراطوريتهم الشرقية، خلال حوالي قرنين، إلاّ أن هذا لم يشفع للعراقيين ولم يرجع لهم عافيتهم وروحهم الإبداعية المعتادة. يمكن تشبيه هذه الحقبة بالقرون الأولى التي أعقبت سقوط بغداد العباسية. هنالك شحة كبيرة بالمصادر التي تتحدث عن نشاطات العراقيين في هذه الفترة، ناهيك عن غياب ذكر النساء، اللواتي من الطبيعي أن ينزوين في بيوتهن في مثل هذه الحقب المظلمة.

2 ـ حقبة الصحوة

والتي أعقبت الحقبة السابقة، واستمرت حوالي خمسة قرون، وتبدأ بالقرن الثاني الميلادي حتى الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع، وفيها بدأ العراقيون بصورة بطيئة جداً يشفون من جراحهم ويصحون من كبوتهم ويستعيدون بالتدريج قواهم الإنسانية والحضارية، وقد اتخذوا من المسيحية وسيلة روحية لهذه الصحوة، واستمرت هذه الصحوة الحضارية بالتنامي، رغم ما تخللتها من نكسات وخسائر كثيرة، حتى بلغت ذروتها مع ظهور الإسلام وصعود العراقيين مرة أخرى إلى قيادة النهضة الحضارية العالمية وإعادة إحياء (بابل) تحت اسم (بغداد).

هنالك عدة معالم حضارية ظهرت خلال حقبة الصحوة هذه، يمكن تقسيمها إلى:

ـ معالم سياسية ـ حضرية تتمثل بنشوء عدة مدن ودويلات عراقية شبه مستقلة.

ـ معالم دينية ثقافية تتمثل بالمسيحية والصابئية واليهودية والمانوية.

المعالم السياسية الحضرية

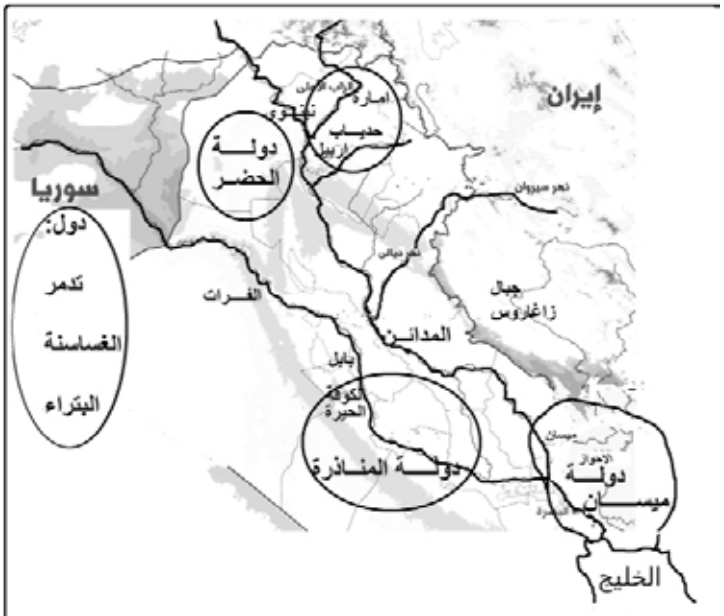

في هذه المرحلة ظهرت عدة دول(ارامية : عربية) في الشام والنهرين، حيث استفادت قبائل البادية من استخدام الجمال في التنقل والحروب كي تتوسع وتفرض وجودها. وكانت عموما مرتبطة بمصالح الامبراطوريات الحاكمة: اليونانية ثم الفارسية والرومانية: البيزنطية

1 ـ مدينة المدائن (قيطسفون ـ سلوقيا)

إن (المدائن) تسمية عراقية آرامية تعني (عدة مدن أو أحياء). في البداية حملت اسم (سلوقيا) نسبة إلى الملك اليوناني (سلوقس) (حكم للفترة 312 ـ 281 ق.م) وريث الإسكندر المقدوني، لتكون عاصمة شرقية له، وحلّت محل بابل باعتبارها المدينة الأولى في بلاد النهرين وكانت شديدة الارتباط بانتشار الثقافة الهيلينية (اليونانية المستشرقة) في بلاد النهرين. تقع المدينة على نهر دجلة حوالي 20 ميلا (32 كم) جنوب شرق بغداد حالياً. كانت سلوقية مدينة كبيرة، أكثر سكانها من المقدونيين واليونانيين، بالإضافة إلى اليهود والسوريين، وقدّر (بليني الأكبر) سكانها بأكثر من نصف مليون إنسان، وفي فترة الهيمنة البارثية التي بدأت في القرن الثاني ق.م ظلت سلوقية المدينة الأهم في الشرق من حيث الموقع والتجارة، وعاشت عدة تمردات مفتوحة ضد الملوك البارثيين الذين فضَّلوا عليها مدينة طيسفون على الضفة الأخرى من دجلة، وأسسوا فولوجيسياس، أو فولوجيسوكرتا، كميناء نهري منافس، وقد أصبحت عاصمتهم الشتوية، وأخيراً أحرق سلوقية القائد الروماني غايوس أوفيديوس كاسيوس في 165م، ويقال: إن عدد سكانها حينذاك كان أكثر من ربع مليون، ويعتبر تدمير هذه المدينة نهاية الثقافة اليونانية في بلاد النهرين، وفي حملته البارثية في سنة 197م، وجد الامبراطور الروماني سيبتيموس سيفيروس الموقع مهجوراً تماماً. لم يبقَ شيء من المدينة على الأرض، ولم تكشف التنقيبات الحديثة في الموقع (الذي سُمِّيَ فيما بعد تل عمر) عن آثار مهمة.

وقد أعاد الساسانيون إحياء المدينة، ومع اندماج الضفتين: (سلوقيا) و(طيسفون) تكونت (المدائن)، حيث أصبحت أيضاً العاصمة الشتوية للإمبراطورية الساسانية، وقد اعتبر العراقيون (المدائن) عاصمتهم الدينية والثقافية بعد نهاية (بابل). حيث ظلت مقراً لكنيسة العراق النسطورية وسميت بـ (كنيسة بابل)، طيلة الحكم الساساني، وقد وصل المبشرون العراقيون إلى الهند والخليج العربي ومنغوليا والصين.

في عام 637 فتح العرب المدينة، وفي البداية استخدموا طاق كسرى مسجداً مؤقتاً، وفي 763 عندما أسس الخليفة المنصور بغداد، هُجرت طيسفون، ثم نقل الجثليق (مرجع الكنيسة الأعلى) مقره من (المدائن) إلى (بغداد).

2 ـ دولة الحضر (القرن الأول والثاني م)

وتركزت في مدينة الحضر التي تبعد عن مدينة آشور القديمة حوالي 70 كيلومتراً وعن الموصل 110 كيلومترات، ودامت حوالي قرنين، من القرن الأول حتى القرن الثاني ميلادي، وحكمها أربعة ملوك استمر حكمهم قرابة المائة عام، وهي دويلة شبه مستقلة بدرجات مختلفة من التبعية للدولة الفارسية الحاكمة عموماً وأحياناً للرومان في الشام. إن حضارة هذه الدولة كانت ناطقة بالآرامية وتؤمن بديانة الكواكب العراقية، مع تأثر واضح بحضارة الإغريق والرومان، ويبدو أن المرأة الحضرية كان لها دور متميز وعلني من النواحي السياسية والدينية.

ظهرت الحضر اثناء السيطرة الفرثية، وقد أسستها جماعات يعتقد أنها من أصول عربية، رغم أن لغتهم وثقافتهم كانت هي الآرامية. وقد عرف أحد ملوكها (سنطرق) بكتابته الشهيرة (سنطرق ملك عربو) أي (سنطرق ملك العرب). وقد ظهرت (الحضر) مع ظهور عدة مدن، مثل (البتراء وتدمر)، ثم اعقبتها (بُصرى الغساسنة، والحيرة المناذرة)، وكلها في اطراف بادية العراق والشام، على طرق التجارة بين الشام والعراق والجزيرة العربية. وقد قاومت هذه (المدن الدويلات) سلما وحربا الدولتين الرومانية والفارسية. ولكن الرومان والفرس دمروها جميعاً واحدة بعد أخرى. عرفت (مملكة الحضر) بهندستها المعمارية وفنونها وأسلحتها وصناعاتها، الحضر كانت تتشبه بـ(روما) من حيث التقدم حيث وجد فيها حمامات ذات نظام تسخين متطور وأبراج مراقبة ونقوش منحوته وفسيفساء وعملات معدنية وتماثيل.علما بان لغة (الحضر) هي الآرامية، لكنها اعتبرت (عربية) من خلال أسماء قادتها ورموزها ذات الصبغة العربية.

سقطت على يد الفرس الساسانيين عام 241 م، ودمرت تدميراً شديداً ومنع أهلها من حمل السلاح، وانتهت من الوجود التاريخي.

3. دولة ميسان

إن (بلاد الأحواز) ظلت دائماً متداخلة جغرافياً وسكانياً وسياسياً مع منطقة (ميسان) مثل باقي جنوب العراق. لهذا فإن (مملكة ميسان) قد شملت (الأحواز) ومعظم جنوب العراق حيث كانت عاصمتها (خاراكس) في منطقة (المحمرة) حالياً، التي أسسها الملك (إسباوسينو) عام 127 ق.م والذي لقبه المؤرخ يوسفيوس بالعربي، وقد امتدت شمالاً حتى جنوب بابل في وسط العراق وعيلام جنوباً.. تشير أغلب المصادر إلى أن (ميسان) دويلة نشأت في جنوبي أرض بابل تحت حماية السلوقيين الإغريق (311 ـ 247 ق.م) عندما ضعف شأنهم في الفترة الواقعة بين عامي (223 ـ 187 ق.م) استقلت ثم تدرجت في سلم القوة وأصبحت دويلة مهمة. حكمها ثلاثة وعشرون ملكاً ما يقارب ثلاثة قرون ونصف وبالتحديد ما بين عامي 129 ق.م ـ 225 م. وظلت المملكة قائمة حتى اكتسحها الملك الفرثي (متريدتيس الرابع) في الأعوام (147 ـ 128م) واحتل عاصمتها ميشان (كرخا). وتم نقل أهاليها إلى مدينة (فرات ـ ميشان) التي كانت واقعة على نهر دجلة القديم جنوب المحمرة بحوالي (18 كم). في تلك الفترة دخلت المسيحية إلى ميسان خاصة في مدينة (جنديشابور- عبادان) وأخذ يطلق عليها (بيت حوزاي ـ منطقة الأحواض) التي هي أصل تسمية (الأحواز). ومنها انتشرت المسيحية السريانية العراقية في عموم الخليج، منطقة بيت قطرايا: قطر والبحرين.

4 ـ دولة الحيرة ودور العرب

إن هذه القرون الأخيرة السابقة للفتح العربي الإسلامي، بدأت معالم الجماعات العربية تتضح كاسم في بعض معالم اللغة العربية، في العراق والشام، رغم بقاء اللغة الآرامية كلغة الثقافة والتعبير لهذه الجماعات العربية الجديدة. ما إن انتهت (الحضر) في القرن الرابع حتى قامت (إمارة الحيرة) في نفس القرن، وبما أنها قريبة من (بابل) القديمة، فإنها حملت الكثير من روحها الحضارية المندثرة. فسكان (الحيرة) هم من

العراقيين الأوائل الذين كانوا قد اعتنقوا المسيحية النسطورية، لهذا كان يطلق عليهم لقب (عباد)، وتعني بالآرامي (المؤمنين)، وكانت لغتهم السائدة هي الآرامية (السريانية) مع المسيحية النسطورية. كانت حدودها تمتد من بابل على الفرات إلى الخليج العربي. اختلفت الآراء في أصل عرب الحيرة، ولكن من الواضح أنهم مثل كل القبائل الكبرى في ذلك الوقت، مجموعة متحالفة من الجماعات العربية والآرامية، التي استوطنت بعد سقوط بابل. لقد حكم الحيرة 25 ملكاً، وكان النعمان بن المنذر (580 ـ 602 م) آخر ملوك آل لخم في الحيرة، وقد عاصر حكم الملك الفارسي أبرويز.

وكان يسود مجتمع (الحيرة) مثل جميع المدن العراقية، نوع من التسامح الديني، بحيث إنه كان هناك الكثير من الطوائف الدينية، بجانب الغالبية المسيحية النسطورية. فهناك بقايا الديانة العراقية القديمة بأوثانهم التي تمثل آلهة الكواكب، وبالذات أتباع مذهب (عبادة القمر)، وهناك أيضاً أتباع لـ (المانوية العراقية)، بالإضافة إلى أتباع المذهب المسيحي (اليعقوبي ـ المنفوزي)، كذلك اليهود والصابئة. وحافظت الحيرة على شهرتها في الطب في العصر الإسلامي، فكان (حنين بن إسحاق النصراني العبادي) من أقدر أطباء العصر العباسي، وكان أبوه صيدلانياً في الحيرة.

5. (الأحواز: عيلام) ودورها المسيحي والعلمي السرياني!

بما أن (عيلام ـ الأحواز) كانت جزءاً من (أرض النهرين)، فإنها ظلت طيلة التاريخ تعيش نفس المراحل الحضارية والثقافية التي تعيشها (بلاد النهرين ـ العراق). فبعد نهاية آخر دولة عراقية في القرن السادس ق.م على يد الإيرانيين، تم احتلال الأحواز وانتهت معها الحضارة العيلامية التي كانت مرتبطة بالحضارة السومرية ـ الأكدية العراقية. مثل العراق، انتشرت الحضارة الآرامية ـ المسيحية في الأحواز في هذه المرحلة، حيث ظهرت في (الأحواز) مدينة (جنديسابور: دزفول: بيت عابات: مكان الهزيمة بالسرياني)أهم مركز للحضارة السريانية، مسيحياً وعلمياً، في الحقبة الساسانية وما بعدها.

بعد انتصار (الملك شابور) عام 259م على (فاليران Valerianus) ملك (الروم البيزنط) في مدينة (أنطاكيا) (المحتلة حالياً من تركيا ضمن لواء الإسكندرونة)، هي

عاصمة (سوريا، وعموم الشام) ومقر (الكنيسة السريانية)، قام (الفرس) بأسر ملك البيزنط ومعه جيشه المتكون من إغريق وسوريين، وكذلك أسقف الكنيسة السورية (ديمتريان ـ Démétrianus) والآلاف من سكان أنطاكيا من النخب الدينية والتعليمية، وتم نفيهم إلى منطقة (الأحواز) جنوب العراق، وجعلهم يشيدون لهم مدينة على (نهر الكارون) أطلق عليها (جند شابور ـ معسكر شابور) ولكن اسمها السرياني (بيت لافات= العابات = بيت العيبة أو الهزيمة)، وتقع الآن بين مدينة (ديزفول) شمال (الأحواز) و(محافظة ميسان العراقية)، وقد استثمر (الفرس) ثقافة وعلوم الأسرى السوريين والإغريق بتشييد الكثير من المنشآت الهندسية مثل الخزانات والجسور، منها السد الضخم الذي لا يزال قائماً ويعرف بـ (سد الإمبراطور) لأن الإمبراطور الأسير هو الذي أشرف على تشييده[30].

مع الزمن أصبحت (أكاديمية جند شابور = جنديسابور ـ Academy of Gondishapur) مركزاً للنشاط الديني المسيحي والعلمي باللغة السريانية بالإضافة إلى الترجمة عن اليونانية، وفي سنة 489 م، هاجر إليها الكثير من أساتذة وحكماء (مدرسة الرها ـ شمال النهرين) ومقر الثقافة المسيحية السريانية، بعدما أغلقها الإمبراطور البيزنطي (زينون) لاعتناق أساتذتها المذهب النسطوري المرفوض. علماً بأن (الفرس) في أول الأمر قد رحبوا وشجعوا (المذهب النسطوري) في العراق والأحواز، لأنه مخالف ومرفوض من مسيحية الدولة البيزنطية التي تحكم كل شرق البحر المتوسط (اليونان والأناضول والشام ومصر وشمال أفريقيا)، وتحولت (جندسابور) إلى مركز ديني نسطوري أساسي مرتبط بمراكز (المدائن والحيرة والموصل)، وانتقل إليها الكثير من أساقفة الكنيسة النسطورية من العراق، وأنشأ النساطرة فيها مستشفىً كبيراً (المارستان أو البيمارستان)، ونشطت مدرستها خصوصاً في مجالي الدين والطب، واستقبلت الكثير من العلماء والأساتذة اليونان والهنود والفرس، وفي عهد (كسرى ـ خسرو الأول 531 ـ 579م) الذي كان معجباً بالثقافة الإغريقية تم الترحيب بأساتذة

(30) ـ عن عمليات السبي والتهجير نحو الأحواز، طالع كتاب:
ـ إيران في عهد الساسانيين، ص 115 و203 (وكان الأسرى إما يباعون كرقيق، أو يتم سبيهم إلى أماكن بعيدة).
كذلك: تاريخ الكنيسة السريانية، ص22ـ 24.

مدرسة (أثينا) التي أغلقها (الإمبراطور البيزنطي جستنيان)، ومن الغريب أن هذه المدينة أصبحت أيضاً مقراً لأشهر الإعدامات وقطع أعناق الزعماء الدينيين من بلاد النهرين، ومنهم النبي ماني البابلي (أعدم عام276م) وأسقف عموم كنائس النهرين مار شمعون بر صباعي (أعدم عام 344م)[31].

وقد استمر النشاط المعرفي السرياني لهذه المدينة الأحوازية السريانية، حتى الدولة العباسية حيث بدأ يضعف بسبب هجرة العلماء والأساتذة إلى (بغداد) التي أصبحت مركز المعرفة في العالم الإسلامي.

المعالم الثقافية والدينية

دير مار هرمز في (القوش : الموصل) من بين اقدم ادبرة العراق

من أهم المعالم الثقافية لهذه المرحلة، هي ظهور الأديان السماوية وانتشارها

(31) ـ عن نشاطات (جنديسابور) العلمية:
ـ تاريخ الأدب السرياني ـ ص287 ـ روبنس دوفال (مترجم) ـ بغداد 1992.
ـ إيران في عهد الساسانيين: ص407.
ـ في الحقبة العربية الإسلامية، اشتهر عدد من الأطباء الأحوازيين السريان الذين أتوا من (جندسابور) وخدموا في (دمشق) لدى الخلفاء الامويين: (أمية بن أثال) و(أبو الحكم) و(حكم الدمشقي) و(تياذوق). أما في الحقبة العباسية، فبرز في بلاط الخلفاء في (بغداد)، أطباء نساطرة من الأحواز، أمثال (جورجيس بن بختيشوع) وبعده أبناؤه (جرجيس وجبريل)، ثم تلاميذهم (إبراهيم) و(سرجيس) و(عيسى بن شهلانا) و(بختيشوع بن جبريل) و(سابور بن سهل)، والطبيب والحكيم الشهير (يوحنا بن ماسويه)، و(دهشاك) وابن أخيه (ميخائيل)، و(عيسى بن طاهر بخت)، وغيرهم الكثيرون من علماء الأحواز المسيحيين.

في العراق: اليهودية والمسيحية والصابئية وكذلك المانوية، والميزة الأساسية التي تجمع هذه الأديان أنها تتفق على وجود إله واحد (الله) في السماء هو الخالق الأوحد لكل الوجود المادي والروحي. رغم اعتبار الديانة اليهودية من ضمن الأديان السماوية، إلاّ أنها في تكوينها الأوَّلي لم تكن ديانة (عرفانية ـ غنوصية) مثل المسيحية والصابئية والمانوية.

1 ـ التيار الروحاني (العرفانية ـ الغنوصية)[32]

إن الاجتياح الآري (الإيراني ـ اليوناني ـ الروماني) للشرق الأوسط، أدى إلى تحطيم كل البنيان الثقافي والديني (العراقي ـ الشامي ـ المصري) القائم والمهيمن منذ آلاف الأعوام. لقد حدثت في المنطقة خلطة تاريخية جبارة نتيجة حضور تيارين عقائديين جديدين في المنطقة:

أ ـ التيار الروحاني الآسيوي (الهندوسي ـ البوذي) القائم على عقيدة وحدة الوجود وخلود الأرواح الهندوسية.

ب ـ التيار المنطقي (الفلسفي) اليوناني، القائم على العقل المجرد والحسابات والسبب والنتيجة.

وقد امتزج هذان التياران الجديدان بالعقيدتين الأصليتين السائدتين مسبقاً في المنطقة:

أ ـ عقيدة المنقذ المخصب (عشتار وتموز) السائدة في العراق والشام. القائمة على أساس تقديس الكواكب السبعة وانتظار المهدي المخلص (تموز) أو المسيح، حيث يأتي أول كل ربيع (إله الذكورة والسماء تموز) ويخصب (إلهة الأنوثة والأرض عشتار) لينشر الخضرة والحياة.

ب ـ الديانة (المصرية) القائمة على أساس الإيمان بيوم الحساب والخلود الأخروي وبالجنة الموعودة. حيث تقوم الأهرامات التي تمثل قبوراً جبارة تساعد الملوك والنبلاء على الانتقال إلى حياة الخلود بعد ميزان الحساب في العالم الآخر.

---

(32) ـ حول العرفانية ـ الغنوصية راجع: كتابنا (موسوعة اللغات العراقية) كذلك:

ـ Jacques Lacarrière, Les Gnostiques, Collection Idées, Gallimard 1964

ـ Hans Leisegang, La Gnose, Collection Petite bibliothèque Payot, 1951

وكانت المحصلة النهائية لهذا المزيج، هو (التيار الروحاني) بمختلف طوائفه وتنوعاته لكنه يشترك بالإيمان بنبذ البدن وتقديس الروح والزهد بالدنيا والرهبنة والتصوف بانتظار خلود الآخرة، وكان التيار الأكثر تأثراً بالفلسفة اليونانية قد شاعت عنه تسمية (العرفانية ـ الغنوصية)[33].

إن أقدم النصوص الروحانية قد اكتشفت في فلسطين وتعود إلى القرن الثالث ق.م (نصوص البحر الميت)، التي تنسب إلى (الطائفة العيسانية: الأسينيون)، ويقول عنهم مؤرخو ذلك العصر: (يتصفون بالتقوى والتبتّل والزهد في الدنيا، والعيش في مجتمعات تشاركية، والالتزام الصارم بالسبت، ويُعمِدون أنفسهم يومياً في الماء، ويأكلون في جماعات، ويكرِّسون حياتهم لفعل الخيرات، ويمتنعون عن التعبير عن الغضب، ويدرسون كتب الأقدمين ويبحثون في أسرارها، ويقدسون أسماء الملائكة في كتاباتهم)[34].

إن هذا التيار الروحاني (العرفاني) أساس الديانات التوحيدية السماوية، وبالذات مذاهب الزهد الروحاني والرهبنة والتصوف، وقد تنوعت إلى طوائف ومسميات، مثل (المانوية والصابئية) في العراق، و(الهرمسية والأفلاطونية الجديدة) في مصر والبحر المتوسط، و(القبلانية) في اليهودية، و(الرهبنة) في المسيحية، وأخيراً (التصوف) في الإسلام.

إن جوهر (الروحانية ـ العرفانية): الإيمان بوحدانية الوجود، والتسليم بإله الخير والمحبة في ملكوت السماء والنور، واعتبار الحياة الدنيا والبدن المادي ملكوت الظلام والشيطان، وأن الخلاص يكمن في الزهد والتقشف وكبح غرائز البدن من أجل التطهر والارتقاء بالنفس إلى ملكوت النور[35].

(33) ـ الغنوصية من اليونانية gnôsis أي المعرفة.

(34) ـ عن طائفة العيسانيين:

Josephus (حوالي 75). The Wars of the Jews. 2.119-

(35) ـ Pagels, Elaine H (1989). The Gnostic Gospels.

2 ـ المسيحية العراقية وتأسيس كنيسة المشرق السريانية في بلاد النهرين: (بالسريانية: ܥܕܬܐ ܡܫܝܚܝܬܐ ܕܡܕܢܚܐ)

تعتبر المسيحية من أولى الديانات الكبرى الروحانية العرفانية (السماوية)[36]، ومع انبثاق المسيحية في فلسطين وعموم بلاد الشام في القرن الأول الميلادي، بدأت بالتدريج تتسرب إلى العراق من القسم الشمالي (الرها ونصيبين) ثم نينوى وكرخا سلوخ (الاسم السرياني لكركوك) حتى ولاية بابل ومنها إلى ولاية ميسان في الجنوب (وكانت تشمل كذلك البصرة والأهواز)، ولم يمض القرن الرابع الميلادي حتى أصبحت المسيحية ديانة الغالبية الساحقة من العراقيين وتكونت الكنائس في جميع القرى والمدن العراقية. إن العراقيين قاموا بالتعبير عن خصوصيتهم الدينية الوطنية من خلال (المذهب النسطوري)[37] وتأسيس كنيسة بابل في (المدائن) الخاصة بالعراقيين، والتي تخضع لها أيضاً جميع فروع الكنائس النسطورية في إيران والهند حتى الصين.

وقد توسع النشاط التبشيري للكنيسة العراقية في داخل إيران نفسها واعتنق المسيحية العديد من النبلاء ومن العائلة المالكة الساسانية، بل حتى إحدى زوجات (الملك شابور) المسماة (واسطاسا) التي تم إعدامها[38]. ومن الشخصيات الثقافية النادرة التي تنسب إلى الفرس، في هذه الحقبة، هو (أفراهاط الحكيم الفارسي)، وهو قديس من عائلة مجوسية لكنه ولد في شمال العراق، واعتنق المسيحية وكتب باللغة السريانية[39].

(36) ـ بالحقيقة إن اليهودية الأولى (التوراتية)، لم تكن عرفانية روحانية، بل أقرب إلى الديانة النهرينية الدنيوية، لأن التوراة لم تنبذ الحياة الدنيا، ولم تؤمن بيوم الحساب ولا الجنة، ولكن فيما بعد بتأثير المسيحية ثم الإسلام تسربت إلى اليهودية الأفكار الأخروية الروحانية.

(37) ـ النسطورية، نسبة الى (نسطور381ـ 451 م) وهو اسقف سوري من(مرعش وانطاكيا) وتوفي في صعيد مصر. انشق عن الكنيسة الرسمية وخالفها بخصوص(طبيعة المسيح)، وقد انتشر مذهبه اساسا في العراق واصبح هو المذهب الوطني للكنيسة العراقية وفروعها في انحاء آسيا والجزيرة العربية.

(38) ـ عن حادثة إعدام شابور لزوجته المسيحية، طالع كتاب:
ـ تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ـ الأب ألبير أبونا ـ ص 22.

(39) ـ عن أفراهاط الحكيم الفارسي، طالع:
كتاب: أفراهاط الحكيم الفارسي: بولس الفغالي، دار المشرق، بيروت 2002.
كذلك:
E. J. Duncan, Baptism in the Demonstrations of Aphrahat, Washington, 1945

إن أهم إنجاز حضاري قامت به المسيحية العراقية أنها افتتحت مدرسة في كل كنيسة وفي كل قرية ومدينة، فصار تعليم القراءة والكتابة والعلوم جزءاً من النشاط الديني والإيماني، وكانت هذه الخطوة بداية خروج العراقيين من قمقمهم الظلامي نحو أفق النور والتحرر.

خلال قرنين أصبحت المسيحية ديانة الغالبية الساحقة من العراقيين (كذلك غالبية سكان العالم العربي الحالي: الشام ومصر وشمال أفريقيا، وبعض نواحي الجزيرة العربية)، وانتشرت الكنائس السريانية من شمال العراق إلى جنوبه، بما فيه (الأحواز)[40]، وكانت هنالك أيضاً أقليات من اليهود والصابئة والمانوية (أتباع ماني البابلي)، وجميع هذه الطوائف لغتهم اليومية والدينية هي السريانية، وكان هنالك أساقفة (مراجع) للقبائل العربية المستوطنة غرب الفرات، في (الكوفة والحيرة) ومن أشهرهم (جورج أسقف العرب) الحكيم الذي له عدة كتب بالسريانية[41]، علماً بأنه كانت هناك مراكز وأسقفيات نسطورية في أنحاء الجزيرة والخليج تابعة لكنيسة بابل[42].

(40) ـ عموماً تسمى (كنيسة المشرق، أو كنيسة بلاد النهرين Mesopotamia). لكن من المظالم والتشويهات الكثيرة التي يعاني منها تاريخ العراق، أن بعض المؤرخين الأوربيين وبدوافع عنصرية (آرية وغيرها)، يستخدمون تسمية (كنيسة فارس، ومسيحيو فارس)، لمجرد أن العراق كان خاضعاً لإمبراطورية الفرس!
أما فروع هذه الكنيسة وتسمى (الأبرشيات)، فقد انتشرت في أنحاء (النهرين) كالتالي:
1ـ (كنيسة سالوقيا ـ المدائن)، وهي الكنيسة العليا (البطريكية) ومقر (الجاثليق ـ المرجع الأعلى)، وتتبعها عدة كنائس رئيسية. 2ـ (تكريت) وبلداتها. 3ـ (حدياب ـ أربيل) بلدات الزابين الأعلى والأسفل. 4. (بيث عرباي ـ الموصل) وبلداتها. 5ـ (كرخ ـ سلوخ ـ كركوك). 6 ـ (كشكر ـ الكوت) وبلداتها.7ـ (حيرتا ـ الحيرة). 8ـ (ميشان ـ ميسان) وبلداتها. 9 ـ (أبلة ـ البصرة) وبلداتها. 10 ـ (بيث حوزاي ـ الأحواز) وبلداتها.

(41) ـ عن أساقفة العرب، راجع كتاب:
ـ حقائق الإسلام ـ عباس العقاد ـ ص 41.

(42) ـ في الخليج عرفت المراكز النسطورية التالية:
ـ بيت قَطرايا، ويعنون به الإقليم الممتد من جنوب العراق وإلى شبه جزيرة في الساحل الجنوبي للخليج العربي، ومنطقة اليمامة إضافة إلى الجزر القريبة من الساحل الشمالي الشرقي لشبه الجزيرة العربيّة، ومن الجدير بالذِكر أنّ لفظة: «بيت» تعني في السريانيّة: «الدّار»، كما تعني: «الإقليم» أو «البلد».
ـ «بيت مَزُونايا»، ويعنون به المنطقة الواقعة في الجزء الجنوبي الشرقيّ من شبه الجزيرة العربيّة، إضافة إلى الجزر القريبة من الساحل.
ـ ديرين، وهي «دارين»، إحدى قرى جزيرة تاروت، وكانت دارين مقر أسقفية نسطورية.
ـ هجر، العاصمة المعروفة في البحرين، وكانت مركزاً مهماً للنساطرة في شمال شرقي شبه الجزيرة العربية.
ـ حطّا أو «حطّو» وهي «الخط» الساحل الممتدّ من الكويت إلى شبه جزيرة في الساحل الجنوبي للخليج العربي، وكان لها أسقفها الخاص بها.
ـ «سماهيج» أو «مشماهيج»، وهو اسم قديم لجزيرة المحرّق البحرينية، وتوجد إلى الآن قرية تحمل اسم سماهيج تقع في الجزء الشمالي الشرقي من جزيرة المحرّق، وقد ذُكر أن مشماهيج كانت مقرًّا لأسقفية نسطورية محلّيّة. =

وقد لعبت (مدينة الحيرة: بلاد المناذرة) غرب العراق دوراً أساسياً بنشر المسيحية النسطورية. برز منها القديس حنان يشوع، والقديس مار يوحنا، والقديس عبد المسيح الحيري، والقديس «هوشاع» وغيرهم، وكانت (كنيسة الباعوثة) في المركز الديني الرئيسي في الحيرة وصمدت حتى زمن متأخر، وشهد عام (424م) انعقاد مجمع «داد يشوع» في الحيرة لتنظيم شئون كنيسة المشرق (العراقية)[43].

الاضطهاد الفارسي وإعدام المرجع المسيحي الأعلى![44]

بدأ اضطهاد المسيحيين في العراق بسبب إعلان الإمبراطور الروماني قسطنطين تبنيه للمسيحية في عام 312 م. وهذا ما زرع الخوف لدى الملك الساساني (شابور الثاني 309 ـ 379)، من تعاطف المسيحيين مع خصمه الروماني الذي يحتل الشام والأناضول وباقي المتوسط. فقرر ـ بدفع من الكهنة المجوس ـ فرض (جزية) باهظة على المسيحيين، والحجة الرسمية العجيبة: ((لأنكم ساكنون في أرضنا وموالون لمذهب عدونا القيصر))[45]. ولما رفض (الجاثليق مار شمعون بر صباعي) ـ

= ـ ابحث عن دراسة في مجلة البيان الإماراتية:
الوجود النسطوري في منطقة الخليج.. نصوص وشواهد آثارية 3 ـ 2

(43) ـ عن الحيرة:
ـ John Wesley Etheridge, The Syrian Churches p.242
ـ W. Smith, A Dicrionary, II, p. 370, John of Ephesus, Eccl. Histo, II, 40 f

(44) ـ حول الاضطهاد الأربعيني: قد ذكر المؤرخ السرياني (ماري بن سليمان) أن الملك (شاهبور) خلال ما أطلق عليه (الاضطهاد الأربعيني) الذي دام أربعين عاماً في القرن الرابع م، قتل حوالي مائة وستين ألفاً في بلدات شمال العراق، وأكثر من ثلاثين ألفاً في بلدات الفرات.
عن كتاب: أدب اللغة الآرامية، ص 413، الأب ألبير أبونا.
وقد أكد المؤرخ البغدادي العباسي (المسعودي) هذا الرقم (التنبيه والإشراف ص149).
كذلك طالع كتاب: شهداء المشرق، الأب ألبير أبونا جزء أول / ص 105 ـ 137.

(45) ـ كان نص رسالة (شابور الثاني) إلى حكام بلاد النهرين: (حالما تتلقون هذه الرسالة تلقون القبض على شمعون رئيس النصارى، ولا تخلوا سبيله إلاّ بعد أن يوقع على صك فيه يتعهد بأن يجبي ويدفع جزية مضاعفة من الشعب المسيحي الساكن في أراضينا وتحت سلطتنا، فنصيبنا نحن الآهة متاعب الحروب، ونصيبهم الراحة والرفاهية. إنهم ساكنون في أرضنا ولكنهم موالون لمذهب قيصر عدونا...).
كان جواب (مار شمعون): (إني أسجد لملك الملوك وأحترم أمره قدر استطاعتي. إلاّ أن ما يقتضيه مني أمره، فإنه ليس من شأني، كما تعلمون حق العلم، أن أطالب الشعب المسيحي بجزية؛ لأن سلطتي ليست على الأمور المنظورة بل على غير المنظورة، ما يقتضيه الإيمان وتعليمك الحق.....).
من كتاب: شهداء المشرق ـ جزء أول ـ الأب ألبير أبونا، ص107.
وهنالك مؤلفات عديدة لـ(مار شمعون): صلوات كنسية وتراتيل، وكتاب (كتاب الآباء) الذي ترجمه إلى الألمانية المستشرق (ساخاو) ونشره في برلين عام 1885. =

الترجمة الحرفية: (المرجع السيد سميع بن الصباغ) ـ وأصله من (ميسان) جنوب العراق، تم قطع رأسه (رغم أن عمره يتجاوز 100 عام) مع 109 مع كبار القسس، في يوم1 نيسان من عام 341م، واعتبرت الكنيسة ذلك (يوم شهداء المسيحية).[46] وقد استمرت المجزرة حوالي أربعين سنة حتى وفاة (الملك شابور الثاني)، وحسب المصادر المسيحية فإن عدد الشهداء بين 10000 ـ 16000 من المسيحيين في العراق وباقي أنحاء الإمبراطورية، وكان بينهم العديد من الشهيدات القديسات، ومن أشهرهن أخوات (المرجع شمعون): (طربو وأختها وخادمتها) اللواتي تم الحكم بإعدامهن من قبل (زوجة الملك) التي اتهمتهن بسحرها والتسبب بمرضها، انتقاماً لأخيهن الشهيد. فأمرت بتقطيع جثثهن وتعليقها في الطريق الذي تسير فيه كي ينتهي السحر! بالإضافة إلى الكثير من الشهيدات القديسات، مثل: (تقلا، ماما، مزَحيا، وحنة، وغيرهن..) من مختلف مناطق العراق[47].

وكان القمع أشد ضد المجوس الذين كانوا قد اعتنقوا المسيحية، أمثال الشهداء: (أفراهاط الحكيم)، و(طهمزكرد) المسؤول العسكري وجلاد مسيحي كركوك، و (الشهيد كوشتازاد) رئيس حجاب الملك، وطبعاً العقاب أشد ضد المسيحيين الذين كسبوهم للدين[48].

= طالع: رايت، الوجيز في تاريخ الأدب السرياني. دهوك، دار المشرق الثقافية، 2012 ص27.
عن دراسة للباحث (فؤاد يوسف قزانجي) بعنوان: الجاثليق شمعون بر صباعي
https://www.ishtartv.com/viewarticle,53726.html
كذلك ـ تاريخ الكنيسة السريانية ـ مصدر سابق ـ ص 35 ـ 44.

(46) ـ حسب المصادر المسيحية فإن هذه الحملات المتقطعة خلال عدة قرون، كلفت مئات الآلاف من الشهداء، وقد ذكر المؤرخ المسيحي العراقي (ماري بن سليمان) أن الملك (شاهبور) خلال ما أطلق عليه (الاضطهاد الأربعيني) الذي دام أربعين عاماً في القرن الرابع م، قتل حوالي مائة وستين ألفاً في بلدات شمال العراق، وأكثر من ثلاثين ألفاً في بلدات الفرات.
وقد أكد المؤرخ العراقي المسلم المسعودي هذا الرقم:ـ (التنبيه والإشراف ص149).

(47) ـ عن استشهاد النساء القديسات، طالع كتاب:
ـ سبستين برك: قديسات وملكات، دار قدمس، حلب 2000.
ـ إيران في عهد الساسانيين ـ ص252 ـ 253.

(48) ـ لا زالت في كركوك كنيسة خاصة بشهداء تلك الحقبة، اسمها (الكنيسة الحمراء):
https://www.qenshrin.com/church/church.php?id=637#.Xf9l2UdKhRY
كانت كركوك تُسمى باسم (كرخ سلوخ ـ قلعة السلوقيين ـ اليونان)، وقد شيدت فيها الكنيسة عند مقبرة (طهمازكرد) وهو القائد المجوسي الفارسي، الذي قام بإعدام عدة آلاف من مسيحي كركوك وضواحيها. لكن معجزة حصلت جعلته يعتنق المسيحية هو وجنوده، فتم إعدامه مع أنصاره وأصبح قديساً شهيداً. طالع كتاب:
ـ تاريخ الكنيسة السريانية، ص74، مصدر سابق.

كنيسة الأقيصر في كربلاء من أقدم كنائس العراق

تقع منطقة الاقيصر إلى الشمال الغربي من حصن الأخيضر وبحدود (1 كم) عن بحيرة الرزازة، وهذه المنطقة عبارة عن تلول أثرية ومقابر مسيحية قديمة، وقد تمخضت أعمال التنقيب في التل الرئيسي عام 78 ـ 79م عن اكتشاف كنيسة عراقية آرامية تعود للقرن الأول الميلادي وعليها كتابات وصلبان محفورة على الجص.

3 ـ السريانية لغة وطنية: دينية وثقافية[49]

في هذه الفترة حملت اللغة الآرامية تسمية جديدة هي (السريانية). هنالك العديد من الفرضيات حول منشأ كلمة سرياني أو سريان فيعتقد البعض أن السريانيين سمّوا بهذا الاسم نسبة إلى سوريا. فباللغة السريانية يقال للشخص السرياني ܣܘܪܝܝܐ Suryoyo أي سوري. أطلق مصطلح (السريان) و(السريانية) منذ القرنين الثاني والثالث الميلادي على الآراميين وعلى الآرامية أي على اللغة والثقافة التي سادت المنطقة، بينما بقي الاسم الآرامي القديم غير مستحب ومرتبطاً بالوثنية، وبالتالي يحسب السريان أنفسهم ورثة الآراميين مباشرة. تبنّى اليهود هذه اللغة حيث حلت محل لغتهم العبرية واقتصر استعمالهم للعبرية فقط في الصلاة وفي قراءة كتبهم المقدسة، ومن المعروف أن السيد المسيح تكلم السريانية، فقد كانت اللغة الدارجة الاستعمال في الحياة اليومية بين

(49) ـ لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا (موسوعة اللغات العراقية ـ ملف السريانية).

اليهود. كذلك استعملها السريان كلغة طقسية في الكنيسة منذ بداية المسيحية، كما كتب بها آباء الكنيسة السريانية مؤلفاتهم العلمية والدينية، كما قاموا بنقل الكتاب المقدس إلى السريانية بنقول مشهورة كالبسيطة، وأيضاً قاموا بترجمته للغات عديدة كالعربية والفارسية والمليالم (لغة جنوبي الهند)، ولا يزال أبناء هذه الكنيسة في كل مكان يقيمون طقوس صلواتهم باللغة السريانية إلى جانب لغاتهم المحلية الوطنية. كذلك دونت بهذه اللغة كتب (المانوية) التي ساهمت بنشرها مع المسيحية. [50].

4 ـ الديانة الصابئية (المندائية)[51]

هذه الديانة تعتبر واحدة من أقدم الديانات السماوية (العرفانية) في العراق، وربما قد سبقت المسيحية، ولكن وجودها الواضح يعود إلى هذه الفترة (الآرامية ـ المسيحية). لغة الصابئة هي اللغة الآرامية الشرقية (العراقية) المتأثرة كثيراً بالأكدية، وهي نفس اللغة التي يستخدمها الصابئة المندائيون اليوم في كتبهم ونصوصهم الدينية. لقد امتهن المندائيون في تلك الحقبة نسخ العقود والمخطوطات وكتابة الرقى وأولعوا بالأرقام ومراقبة النجوم وأفلاكها وزاولوا الطب بنوعيه الروحاني والسريري (الأشيپو والآسي) والتي ورثوها عن الأكديين.

في زمن الدولة الساسانية تمتع المندائيون تحت حكم الملك أردشير الأخير بحماية الدولة (الإمبراطورية)، ولكن الأمر تغير حين جاء إلى السلطة الملك بهرام الأول سنة 273، إذ قام بإعدام (ماني) في بداية حكمه بتأثير من الكاهن الزرادشتي الأعظم (كاردير)، وامتد الاضطهاد الساساني الديني ليشمل أتباع الديانات الأخرى غير الزرادشتية مثل المندائية والمانوية واليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية.

---

(50) عن الثقافة السريانية في العراق قبل الإسلام، طالع:
ـ اللغة الآرامية وأثرها في اللغتين العربية والفارسية.
كتاب مهم وغني ودراسي، وهو أيضاً موجود كاملاً في الإنترنت:
مازن محمد حسين وإياد محمد حسين: مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية ـ بغداد.
ـ تاريخ الكنيسة / مصدر سابق.
ـ تاريخ الأدب السرياني / روبنسن دوفال / مترجم.
كذلك ابحث: تاريخ اللغة السريانية.

(51) ـ لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا (موسوعة اللغات العراقية ـ ملف الصابئية). كذلك:

_ Handbook of Classical and Modern Mandai, Berlin 1965

_ cf. René Grousset, Histoire de l'Arménie, Payot, 1984

ويمكننا أن ننتهي إلى أن المندائيين قاموا بجمع تراثهم وأدبهم الديني وترتيبه وحفظه، وهذا واضح في الجهود المكثفة التي قام بها الناسخ (زازاي) في هذا المجال، وبالرغم من حملة الاضطهاد الشعواء التي قادها الحبر الأعظم للزرادشت (كاردير) إلاّ أنه لم يستطع القضاء تماماً على المندائية، ولكن التدوين توقف تماماً لعدة قرون، ولم نشاهد التأثيرات والكتابات المندائية إلاّ فيما يسمى بأوعية (قحوف) الأحراز والأشرطة الرصاصية. إن المدونات المندائية التي عثر عليها كانت جميعها قد نشأت في بلاد النهرين والتي يعود بعضها إلى القرن الرابع الميلادي، والقسم الأكبر قد دون قبل ظهور الإسلام، إلاّ أن محاولات التأليف المندائية لم تنقطع بظهوره، وإنما واصلت أعمالها تحت ظله إلى ما بعد قرون عديدة.

5 ـ المانوية البابلية[52]

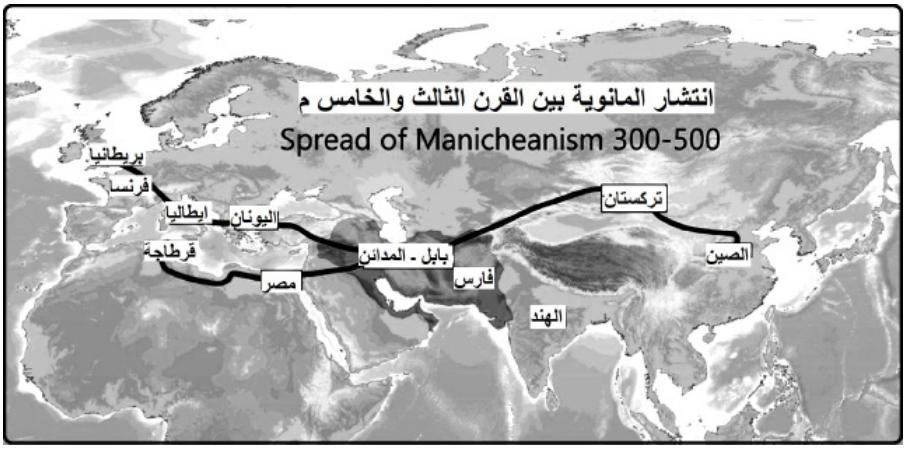

تعتبر المانوية ديانة عرفانية (صوفية)عراقية وطنية صميمة، لغة وثقافة وإدارة. ظهرت كديانة عراقية انتشرت عالمياً وقد أصبحت (كنيسة بابل) المقر العالمي لهذه الديانة، ورغم قلة الوثائق وعمليات التعتيم والتشويه، إلاّ أن هنالك معلومات أساسية يتفق عليها جميع المؤرخين:

(52) ـ لقد اعتبر بعض المؤرخين أصل (ماني) إيرانياً، دون أي مصدر واحد يؤكد ذلك. فكل تفاصيل حياته ولغته وديانته تؤكد أنه عراقي.
إن (وثيقة ماني كولونيا: Cologne Mani – Codex) هي أقدم وثيقة عثر عليها في مصر تعود إلى القرن الخامس م (مكتوبة باليونانية ومترجمة عن السريانية)، وهي الوحيدة التي تتحدث بالتفصيل عن حياة ماني، ولا تشير بأي كلمة إلى أنه من أصل إيراني، بل إنه ولد ونشأ في العراق من عائلة تنتمي لطائفة مسيحية معمدانية (الصابئة).

ولد (ماني) في 14 نيسان عام 216 ميلادية، قرب (المدائن) التي كانت مركز ولاية بابل والعاصمة الثانية للإمبراطورية الإيرانية، ولهذا يطلق على هذا النبي لقب (ماني البابلي)[53]. ويقول عنه المؤرخ العراقي العباسي (ابن النديم) في (الفهرست): ((نبي الله الذي أتى من بابل))[54]. وكان دين عائلته عراقياً قديماً (عبادة الكواكب)، وفي سن الرابعة رحل به أبوه إلى إحدى قرى ولاية (ميسان) في جنوب العراق. هناك نشأ (ماني) على الدين الصابئي، وفي سن الشباب أخذ (ماني) يتنقل في أنحاء النهرين واستقر في (المدائن) جنوب بغداد حيث أنشأ كنيسته التي أطلق عليها (كنيسة بابل)، وأصبحت المرجعية العليا لجميع الكنائس المانوية في جميع أنحاء العالم من الصين حتى أسبانيا وبلاد الغال، واللقب الذي كان يُعرف به هو (ماني حيا) أي (ماني الحي)، ومنه أتى المصطلح اللاتيني لهذا الدين (Manicheisme) أي (ماني ـ حيا ـ سيم)[55].

كان المسيحيون يشيعون بأن اتباع ماني يتعبدون لتمثاله. هذا رسم من كتاب اوربي من عام 1701 (56)

(53) ـ نحن نستخدم كلمات (نبي ورسول) ليس بغرض التمجيد، بل ندونها كما هي واردة في المصادر القديمة.

(54) ـ فهرست ابن النديم ـ ص 391 ـ 393

(55) ـ عن (المانوية: Manicheisme) هنالك معلومات كثيرة في جميع اللغات. طالع مثلا:
ـ الموسوعة الكونية الفرنسية ـ جزء 11 ـ ص 646.
ـ للتفاصيل طالع: كتابنا (الذات الجريحة ـ الفصل الثاني ـ ملحق المانوية).
كذلك:
_ François Decret, Mani et la tradition manichéenne, Seuil, Points Sagesses, 2005

(56) ـ هذه الصورة من كتاب «تاريخ الكنيسة والهراطقة»، ج1: جوتفرايد أرنولد، 1701
_ "History of the Church and Heretics" book, Volume I, by Gottfried Arnold, 1701

يتفق المؤرخون جميعهم على أن اللغة الأم للنبي (ماني) ولغة كتبه السبعة وإنجيله المقدس، هي (اللغة السريانية) العراقية، وقد ترجمت جميع كتبه فيما بعد إلى اللغات الفارسية والتركية (الإيغورية) واليونانية واللاتينية والقبطية، ومن بين الأقوال القليلة التي توثقت لهذا النبي، ثمة القول التالي الذي يحدد فيه الهوية العراقية لدينه: ((إن الحكمة والمناقب لم يزل يأتي بها رسل الله بين زمن وآخر، فكان مجيئها في زمن على يد الرسول (بوذا) إلى بلاد الهند، وفي زمن على يد (زرادشت) إلى أرض فارس، وفي زمن على يد (عيسى) إلى أرض المغرب (الشام)، ثم نزل هذا الوحي وجاءت النبوة في هذا الزمن الأخير على يديّ أنا (ماني) رسول إله الحق إلى أرض بابل...))[57]. ثم إن الأكثر من كل هذا، إصرار (ماني) على جعل بابل مقر الكنيسة الأم ومركز المرجعية الدينية والحوزة العلمية لجميع الطوائف المانوية في العالم، وبقي هذا التقديس الخاص لبابل لدى المانويين حتى نهايتهم بعد ألف عام.

بعد أن انتشرت ديانته في كل مكان، وفي تاريخ غير محدد بصورة تامة، بين (274ـ277) ميلادية، تم صلب (ماني) على أحد أبواب مدينة بيت العابات (جندشابور) في الأحواز.

الثقافة العراقية وتأثيرها على ايران

احتاج الايرانيون اكثر من 2500 عام بعد العراقيين، كي يعرفوا الكتابة، بعد احتلالهم بابل. إذ تبنوا الخط المسماري واللغة الاكدية. هذا (نقش بيستون: كرمنشاه) الذي يعتبر من اقدم نصوصهم، وفيه يتكلم الملك (دارا الاول 550 ق.م) عن اعماله. وتكمن قيمة هذا النقش انه مكرر باللغات: الاكدية والاخمينية: (شبه الفارسية) والعيلامية الاحوازية، وبفضله تمكن العلماء من فك رموز الكتابة المسمارية.

(57) ـ (راجع: إيران في عهد الساسانيين، ص 172).

التاريخ يظهر لنا نوعين من التأثير الثقافي[58] والحضاري للدول التي تحتل بلداً آخر: اما ان تنقل له ثقافتها وحضارتها، او بالعكس تأخذ منه ثقافته وحضارته، حسب الرصيد الثقافي لكل منهما. مثلا ان (الدولة الرومانية) بعد احتلال (اليونان)، قد اقتبست منها الحضارة اليونانية لتخلق منها: (الحضارة اليونانية الرومانية).

نفس الامر ينطبق على حالة الاحتلال الفارسي الساساني للعراق. [59] إن أسطع دليل على مدى فقر الثقافة الفارسية انها كانت عاجزة حتى عن ترك وثائق تسرد تاريخها. إن تاريخ الساسانيين تمت كتابته أساساً بالعربية بعد الإسلام بالاعتماد على شهادات الناس والمصادر السريانية واليونانية[60].

في هذه الحقبة ظهرت بوضوح اللغة الجديدة التي سميت بـ (البهلوية) وأيضاً أطلق عليها المؤرخون (الفارسية الوسطى) وهي استمرار معدل للغة السابقة (الفرثية)، واستخدموا بكتابتها (الخط السرياني: العراقي السوري). من الأمور المدهشة في (اللغة البهلوية) ودليل لا يصدق على مدى جمود الخيال الإيراني في ذلك العصر، تقيدهم بأسلوب عجائبي يعرف باسم (هزوارش hozvâresh)، أي: كتابة الكلمة الفارسية بنفس حروف الكلمة السريانية ولكنهم ينطقونها بالفارسي. مثلاً: كلمة (لحم)، فإنهم يكتبونها تماماً بالنطق السرياني: (بسرو، أي بشرة: جلد أو لحم)، ولكنهم ينطقونها بالفارسي (gousht ـ كوشت)! كذلك تسمية (شاهنشاه ـ ملك الملوك)، فإنهم يكتبونها (ملكن ملكا) السريانية لكنهم ينطقونها (شاهنشاه)! ولهذا بقيت هذه اللغة عصية على عموم الإيرانيين، وتحدد استخدامها ببعض الأمور الإدارية والدينية[61].

---

(58) ـ تعمدنا استخدام كلمة (ثقافة) بدلاً من (حضارة)، لأن هذه الحقبة السابقة للاسلام، لم تنتج (حضارة) بل (ثقافة) ظلت تتغذى على الحضارة العراقية والشرقية السابقة، وكذلك الحضارة اليونانية المجاورة، أي أشبه بـ (الحقبة العثمانية) التي لم تنتج (حضارة) بل بقيت تعتاش على ميراث الحضارة العربية الإسلامية السابقة، والاوربية المجاورة.

(59) ـ يستحيل الحديث عن (حضارة إيرانية) قبل الإسلام، وهي طيلة أكثر من ألف عام، لم تترك اسم عالم واحد، ولا نصاً علمياً أو دينياً أو أدبياً، بل مجرد نتف من النقوش البسيطة، عكس الثقافة السريانية المسيحية العراقية التي تركت لنا مئات النصوص الدينية والموسوعية والأدبية، التي نتداولها حتى الآن، لكنها رغم ذلك لم ترق إلى مستوى (حضارة ثرية وابتكارية).

(60) ـ عن كتابة تاريخ الساسانيين من قبل العرب المسلمين، طالع:
ـ كريستنسن: / ص 46 ـ 60.
كذلك: تاريخ الكنيسة السريانية ـ جزء أول ـ ص:67 ـ 70.

(61) ـ عن الخط البهلوي طالع:
ـ مجلة طهران بالفرنسية: Petite histoire de l'écriture en Iran/ Revu TEHRAN/ Arefeh Hedjazi
ـ كذلك طالع: الموسوعة البريطانية(Britannica: Pahlavi alphabet)

كذلك ظل العراق مقر النشاطات العلمية والحرفية، ومنه تعلم كهنة المجوس (التنجيم)، وكان معظم الأطباء من أبناء النهرين[62]، الطريف أن الشخصيات المبدعة الإيرانية في هذه الفترة، كانت فقط ممن نشأوا في العراق وتبنوا المسيحية واللغة السريانية، ومن أشهرهم (أفراهاط الحكيم الفارسي 270 ـ 346)، وهو راهب وكاتب مسيحي من أصل فارسي، ربما كردي، لأنه ولد وتربى في شمال العراق وصار أسقفا لـ (دير مار متي) في الموصل[63].

الزرادشتية: المجوسية بين الحقيقة والمبالغات

(62) ـ عن ثقافة الفرس زمن الساسانيين: من الغريب أن جميع النصوص التي يدَّعي بعض المؤرخين المتعاطفين مع الفرس أنها كتبت في هذه الحقبة، هي بكل بساطة ليس لها أي وجود وليس هنالك أي مصدر إسلامي مثلا يدَّعي أنه اطلع على نسخها، بل كل الذي قيل ادعاء شفاهي بأنها كانت موجودة قبل الإسلام، وقد اعتمد على بعضها شفاهيا الشاعر القومي الفردوسي في الشاهنامة، وهذه النصوص المدعاة: الأفستا، وتراتيل مانوية، بالإضافة إلى (كليلة ودمنة) التي قيل: إن (ابن المقفع) قد ترجمها من البهلوية، ولكن لم يعثر لها على أي أثر، بل هنالك النسخة السريانية الأصلية التي يفترض بالحقيقة أنها كانت أول ترجمة للحكاية عن الهندية.
عن الوضع زمن الساسانيين:
ـ كريستنسن، آرثر ـ إيران في عهد الساسانيين ـ ص 22 ـ 23 ـ 162 ـ دار النهضة ـ بيروت.
ـ كان كهنة المجوسية يحرمون الاستحمام بالماء الساخن، لأنه يدنس (النار المقدسة) التي سخنت الماء. لهذا فهم لم يعرفوا الحمامات، وقد قام الكهنة بثورة ضد (الملك قباد) لأنه جلب نظام الحمامات من شمال بلاد النهرين:
ـ نفس المصدر السابق: حاشية ص 282.
ـ كذلك عن أهمية عاصمة العراق (قيطسفون ـ المدائن) زمن الساسانيين، طالع:
ـ كرستنسن / المصدر السابق: ص 367 ـ 372.

(63) ـ عن (أفراهاط الحكيم الفارسي):
ـ تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية / جزء 1 ت البير ابونا / ص 44.
ابحث عن تفاصيل حياته أيضاً بالإنكليزي:(Aphrahat)

مثلما يحصل غالبا مع تاريخ الاديان، العديد من المؤرخين تبنوا ادعاءاتها المليئة بالخرافات والمبالغات عن تاريخ (زرادشت وعقيدته). ولكن هذه الادعاءات ليس هنالك اي سند اثري او كتابي يدعمها. فحتى كتاب المجوسية المقدس (الافستا: الابستاق) متفق تاريخيا على انه دون لاول مرة بعد اكثر من ثلاثة قرون من الاسلام.[64] ولكن المجوس يدعون بانه كان مكتوبا وقد حرقه (الاسكندر المقدوني)، ثم كتبه وحرقه (المسلمون). كذلك ليس هنالك اي مصدر او شهادة تؤكد ادعاءهم. وحتى الآن لم يتم العثور على تلك (النصوص المجوسية الساسانية)، فأقدمها قد دونت بعد الإسلام، على أمل المحافظة على دينهم أمام اكتساح الإسلام وانتشاره السهل جدا بين المجوس[65]!

(64) ـ طالع كتاباً تفصيلياً مهماً عن تدوين الأفستا في العصر الإسلامي:
ـ تحريف الزرادشتيين للديانة الزرادشتية في العصر الإسلامي/ د. خالد كبير علال.

(65) ـ إن ما يسمى بكتاب المجوس المقدس (أفستا) لم يتم العثورعلى أي نسخة منه، والحجة التي أشاعها الفرس فيما بعد، أن (أفستا) كان موجوداً لكن اليونان قد أبادوا جميع نسخه. (وهذا فعل مستحيل، فلا بد أن يحتفظ بعض المؤمنين بنسخ في أي مكان، تحت الأرض أو الكهوف أو غيرها). طالع:
ـ آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص131 ،130.
ـ أقدم مصدر تم فيه ذكر اسم (زرادشت) يعود إلى القرن الرابع ق. م، إذ ذكر أحد المؤرخين اليونان أن الفرس يقولون: إن (زرادشت) عاش قبل ستة آلاف عام.
_ L'Avesta, Zoroastre et les sources des religions indo _ iraniennes par Jean Kellens
ثم إن الطائفة المجوسية بقيت حيّة وإن ضعفت وقل عدد أتباعها، لكنها من المستحيل أن تستمر بدونٍ كتابها المقدس إذا كان فعلا مكتوبا!! ثم لماذا اضطروا إلى تدوينه في القرن الرابع الهجري، إذا كان موجوداً؟! وقد أضافوا إليه الكثير من المؤثرات الإسلامية والمسيحية، وادعوا أنها موجودة منذ القدم!
ـ مثلا، عن حكاية (المعراج) المجوسية، (أردا فيراز ـ ناماغ) (كتاب أردا وياراز)، فإن الباحثين اتفقوا على أنه دون في القرن الرابع الهجري بجانب كتابهم الأفستا. طالع:
ـ الموسوعة الإيرانية بالإنكليزية: encyclopaedia iranic/ مفردة(ARDĀ WĪRĀZ)
كذلك ابحث: Zoroastrian visions of heaven and hell/ The British Library
ـ إيران في عهد الساسانيين ـ ارثر كريستنسن ـ ص40 ـ ص41.
ـ عن مشكلة تاريخ زرادشت ونصوص المجوسية: هنالك جدل دائم بين المختصين الغربيين لتحديد الفترة التي عاش فيها (زرادشت) بعضهم يبلغ حد 2000 ق.م، وبعضهم يهبط إلى القرن الأول أي زمن المسيح! لأن المشكلة تكمن في عدم وجود أية أدلة آثارية وشهادات تاريخية على وجوده أصلاً. (هيرودوتس الرابع ق.م) لم يتحدث عن زرادشت بل ذكر (دين الفرس)، و(إنجيل متي) يتحدث عن (المجوسية 1 /2ـ 16). أما الشهادات التي تذكر اسم (زرادشت) فهي باليونانية واللاتينية وتعود إلى القرن 1 م أمثال الإيطالي (Pliny the Elder) و(نيقولا الدمشقي)، وكلها نقلا عن مصادر شفاهية وأقاويل تتحدث عن زمن بعيد لقرون مختلفة. طالع بالفرنسي:
_ Jean Kellens/ L'Avesta, Zoroastre et les sources des religions
ـ بل هنالك من يعتقد بأن هنالك (عدة زرادشت، وليس واحداً)، والطريف أن جدل المختصين يعتمد (فقط فقط فقط) على تقدير تاريخ (لغة ومعاني) النصوص المنسوبة إلى المجوسية والتي تتحدث عن نبيهم. علما بأن =

في هذه الحقبة بالذات بدا التأثير العراقي على (المجوسية). فبفضل المسيحية والمانوية واليهودية، قرر (الكهنة الفرس) الاهتمام بديانتهم والعمل على تنظيمها. ففي هذه الفترة لاول مرة يتم الذكر الواضح اسم (زرادشت والزرادشتية)، ولهذا يعتقد المؤرخون أن (الساسانين) هم الذين منحوا هذه الديانة الإيرانية الشعبية الشفاهية صيغة رسمية منتظمة، وبدأوا بتدوين بعض نصوصها. ولأول مرة تم تشييد (معابد النار المجوسية)، وأشرف على هذا النهوض الديني المدعو (كارتير Kartir: القرن الثالث م)، وهو (الموبدان الأكبر: أي الرئيس الأعلى لكهنة المجوس)، الذي جهد لجعل المجوسية الديانة الرسمية للإمبراطورية، على أمل مواجهة الاكتساح المسيحي والمانوي القادم من العراق.[66]

نقش رجب في ايران(قرن 3 م)، يصور الكاهن كارتير يمجد انجازاته في تحديث المجوسية لمواجهة خطر المانوية والمسيحية واليهودية

= أقدم نسخ هذه النصوص الحالية يعود تاريخ كتابتها إلى ما بعد الإسلام، وهي نصوص (الخليقة: بنداهيش Būndahišn.). ابحث بالإنكليزي والفرنسي والألماني:

ـ Zoroaster

ـ كذلك طالع:

ـ آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص131 ،130.

(66) ـ عن الدور الحاسم للكاهن كارتير في احياء المجوسية، طالع في ويكبيديا الانكليزية والفرنسية: Kartir

وعلى غرار شخصيتي (ماني البابلي) و(النبي عيسى) جهد المجوس لإبراز شخصية نبي خاص بهم أحيوه من تراثهم الشعبي: (زرادشت)، ربما من شخصية زاهد إيراني قديم مقدس. كذلك بدأوا بتدوين بعض النصوص الشعرية الدينية التي نسبوها لنبيهم بأسم: (الزند الزرادشتي: أبستاق ـ الافستا: Avesta)! الذي ارجعوه الى شخصية زرادشت، كما ارجع اليهود توراتهم الى موسى قبل قرون طويلة من كتابته الفعلية في بابل.

شخصيات تاريخية

خلال هذه المرحلة، برزت شخصيات عراقية، ثقافية وسياسية، من أشهرها:

أفرام السرياني (306 م ـ الرها 373 م)

من أعظم كتّاب وشعراء الشرق المسيحي. قد لُقِّب بقيثارة الروح القدس، أفرام هو قديس وأحد آباء ومعلّمي الكنيسة، ولد عام 306 م في مدينة نصيبين (شرقي نهر الخابور حالياً في جنوب تركيا)، من أسرة مسيحية. سميَ شماساً قبل عام 338 م وبقي كذلك حتى وفاته. أسس المدرسة اللاهوتية في نصيبين. لقد ترك لنا أفرام كتابات كثيرة لم تأخذ حقها من الدراسة، كانت كتاباته تدور حول المحور الأخلاقي. الكثير منها تُرجِمَ فوراً إلى عدة لغات منها اليونانية والأرمنية، ومن الجدير بالذكر أن الترجمة اللاتينية قد أُخِذَت عن هذه الترجمات.

شيرين الميسانية ملكة ساسان

(شيرين) هي بطلة الحكاية الأسطورية الشهيرة (شيرين وفرهاد) أو (خسرو وشيرين).[67] لا زالت هنالك خرائب على الحدود بين العراق (خانقين) وإيران، وهي بقايا قصر اسمه (قصر شيرين) وتحمل هذه المدينة اسمها، وهو القصر الذي بَنَتْهُ هذه الملكة، لتمضي فيه الصيف ليس بعيداً عن أهلها وناسها في أرض النهرين. وقد اتفق

(67) ـ حول اصل(شيرين) بعض المصادر تخلط بين الاصل(الآرامي) و(الارمني). لكن شبه المؤكد انها (آرامية مسيحية يعقوبية: مذهب سوريا ونينوى) واصلها من (منطقة ميسان: الاحواز ومدينة ميسان). طالع:
KOSROW O ŠIRIN - Encyclopædia iranica -

المؤرخون جميعهم على أنها آرامية مسيحية. أما بالنسبة لأصل موطنها، فهنالك أقلية من المؤرخين قالوا بأصلها الأحوازي، بينما الأغلبية اتفقوا على أصلها من منطقة (ميشان) أي (ميسان)، وتؤكد المصادر على أن (شيرين) رغم زواجها بإمبراطور إيران، إلاّ أنها فضلت دائماً السكن في بلادها العراق، وبالذات في (المدائن) على ضفاف دجلة، بل إنها أجبرت زوجها على السكن في هذه المدينة، رغم أنه كان متشائماً منها لأن المنجمين قالوا له: إنه سوف يقتل فيها، لكنه خضع لإرادة زوجته، حتى تحققت النبوءة وتم قتله في (المدائن) على يد ابنه.

أحيقار الحكيم[68]

رغم أن هذه الحكاية يعود تاريخ حدوثها إلى الحكم الآشوري في القرن السابع ق.م، إلاّ أنها اعتبرت من الأدب الآرامي، لأنها كتبت ونضجت في الفترة الآرامية، أي بعد عدة قرون. إنها أقدم نصوص القَصص الآرامية إطلاقًا والتي وصلت إلينا، والتي لا مجال للشك في صحتها. إن (أحيقار) هو كاتب الملك سنحاريب وحامل أختامه، وقد سجلها خطّاط آرامي على إحدى عشرة ورقة من البردي، عثرت عليها البعثة الألمانية سنة (1906 ـ 1908) في جزيرة الفيلة قرب أسوان المصرية التي كانت مقطونة باليهود ولغتهم العامية الآرامية، ومطلع الحكاية (قصة أحيقار الحكيم كاتب سنحاريب ملك آشور ونينوى) ونُقلت إلى العربية، بعنوان: (خبر أحيقار الحكيم وزير سنحاريب الملك ونادان ابن أخته).

الملك النعمان بن المنذر (582 ـ 609 م) و(معركة ذي قار 609م) الشهيرة

وهو من أشهر ملوك المناذرة، وقد حكيت عنه الكثير من الحكايات ومنها (يوما البؤس والنعيم)، هو باني مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى، والذي غزا مدينة قرقيسيا (بين الخابور والفرات). كان أبرش أحمر الشعر، قصيراً، وكانت أمه يهودية من خيبر. تحالف معه أسقف العراق (شمعون بن جابر)، وبسبب (النعمان) حدثت (معركة ذي قار) الشهيرة، وهي أول معركة في التاريخ ينتصر فيها العرب على الفرس،

(68) ـ راجع: ـ كتاب: حكيم من نينوى وأثره في الآداب العالمية القديمة ـ تأليف سهيل قاشا.

حيث انكسر جيش كسرى الجبار أمام تحالف القبائل العربية العراقية، وكان سبب المعركة أنه بعد سجن (النعمان) ثم إعدامه من قبل (كسرى) رفض شيوخ العرب بزعامة (هاني بن مسعود الشيباني) تسليم عائلة النعمان وأمواله إلى الملك الساساني الذي قرر معاقبتهم بجيشه الجبار في منطقة (ذي قار ـ الديوانية) القريبة من الكوفة، ويقال بأن النبي محمد (ص)عندما بلغه خبر الانتصار قال: (هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نصروا).

إسحاق السرياني أو إسحاق النينوي القطري

هو أحد أساقفة ولاهوتيي القرن السابع، ويعتبر من أكبر المعلمين الروحيين في الشرق المسيحي، وأقواله وكتاباته معروفة عالمياً، ولد في شرق الجزيرة العربية في المنطقة التي كانت تعرف قديماً بالسريانية (بيث قطرايي) أي (القطر البحري)، وهي منطقة تمتد مساحتها الجغرافية من الكويت شمالاً وحتى أقصى عُمان جنوباً. انخرط إسحاق في السلك الرهباني مع شقيقه وهو لا يزال شاباً يافعاً، وذاع صيته في المنطقة فاختير من قبل أهل نينوى ليرتسم أسقفاً عليهم، وكانت النسطورية حينها هي السائدة في تلك المدينة. نال رسامته من الجاثليق النسطوري جرجس بين عامي 660 و680، وبعد ذلك بخمسة أشهر فَرَّ إلى الجبال ليحيا حياة التوحد والزهد قبل أن يستقر أخيراً في دير رابان شابور حيث توفي ودفن هناك. كان قد أصيب بالعمى في أواخر أيامه فكان يملي مؤلفاته على تلاميذه.

يوسف الأحوازي مؤسس علم النحو الآرامي 580م

كان يوسف الأحوازي مدرّساً بجامعة نصيبين وهي جامعة كان يُدرَّس بها تفسير الكتاب المقدس والطب والفلسفة واللاهوت، بالإضافة إلى قواعد اللغة السريانية الآرامية، وتعتبر حينئذ من أفضل الجامعات في العالم. تقع بلدة نصيبين حالياً في جنوب شرقي تركيا. كان يوسف مدرساً بهذه الجامعة وهو من منطقة الأحواز وكان خبيراً باللغة والنحو والترجمة، وأقدم من يذكر ممن ألف في اللغة السريانية المشتقة من اللغة الآرامية، ويعتبر يوسف الأحوازي أستاذ مدرسة نصيبين (المتوفي 580م) صاحب أقدم مؤلف سرياني عُرِفَ فى النحو.

الأميرة الراهبة هند ابنة النعمان

وتعرف في التاريخ بـ (هند الصغرى) تمييزاً عن (هند بنت الحارث). هند بنت النعمان بن المنذر ملك الحيرة، قيل عنها: إنها تزوجت من الشاعر عدي بن زيد العبادي، ثم قتله النعمان لوشايةٍ، ثم آثرت الترهب، وكانت هند تنظم الشعر الرقيق، ولدت ونشأت في بيت الملك بالحيرة. قيل: إنها ترهّبت لما حبس (كسرى) (النعمان الأصغر) أباها، ومات في حبسه. ترهّبت ولبست المسوح وأقامت في دير بَنَتْهُ بين (الحيرة) و(الكوفة)، عُرف بـ (دير هند الصغرى)، وهو من أعظم ديارات (الحيرة) آنذاك، التي جميعها غابت آثارها، وقيل: إن هند عاشت حتى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي (95هـ)، وقيل: زارها سعد بن أبي وقاص عند دخوله الكوفة.

***

شمال العراق والأكراد في هذه المرحلة

الفكرة التي نكررها بخصوص دور الاكراد في تاريخ العراق: ان شعب العراق مثل غالبية شعوب العالم، اشبه ببحيرة كبيرة تغذيها مختلف الانهر الكبرى والصغرى والامطار، ومن الصعب ملاحظة نشاط مياه احد الانهر في داخل البحيرة. كذلك

من الصعب البحث عن دور مميز لـ(لأكراد) كجماعة متميزة، في التاريخ العراقي. مثل صعوبة تحديد دور (عشائر البادية) التي نعلم أنها طيلة تاريخ العراق، قد مدته بالهجرات الدائمة. وبالتالي فإن دور (البدو: الاموريين ثم الآراميين ثم العرب) في مختلف مراحل تاريخ العراق، لايحمل مباشرة أسماءهم، بل من خلال دور العراقيين بصورة عامة. نفس الحال بالنسبة لـ(الاكراد بدو الجبال) الذين استمروا طبيعيا بمد العراق بالهجرات الجماعية والفردية والانصهار في باقي (شعب النهرين) لغة وثقافة وعقيدة، كما رأينا مع (الكاشيين الجبليين) الذين حكموا (بابل) خمسة قرون. هكذا بين حين وآخر يعطينا التاريخ بعض اسماء الشخصيات والجماعات التي كما يبدو انها تعود باصولها القريبة او البعيدة الى المناطق الجبلية.

الامكانية الوحيدة، ان نعاين تاريخ المدن التي يقطنها الاكراد في العصر الحديث، اي شمال العراق مثل مدينتي (أربيل) و (كركوك):

حدياب وعاصمتها أربيل[69]

لا تذكر الوثائق التاريخية أي معلومة عن (الأكراد) ولا سكان جبال العراق في هذه الحقبة، لكن هنالك معلومات كافية عن مدينة (أربيل) التي شاع أيضاً اسمها كعاصمة لمقاطعة (حدياب) وهي المنطقة المحاطة من ثلاثة أطراف بنهر دجلة ونهري الزاب الأعلى والأسفل، وتمتد شرقاً الى الموصل لتصل إلى بحيرة أورميا. وهي مثل كل العراق في هذه الحقبة، يقطنها الناطقون بالآرامية، ولم تظهر فيها أية آثار كردية واضحة. وقد اشتهرت مع (نينوى) بأنها من أولى مراكز انتشار المسيحية في العراق، منذ نهاية القرن الأول الميلادي، لقربها من سوريا التي تأتي منها هذه الديانة الجديدة.

وقد نشأت فيها دويلة تابعة للفرث المحتلين للعراق، باسم (مملكة حدياب) أو أديابين، بين 15م ـ 116م. كانت عاصمتها أربيل. اسمها مشتق من اللغة الآرامية

(69) ـ ان كتابات الجغرافيين الإغريق والرومان مثل استرابون [ر] Strabon، بطلميوس المجسطي، بلينيوس [ر] Plinius من أهم المصادر التي تلقي الضوء على تاريخ مملكة أديابين. طالع:

ـ David BARISH, Adiabene: Royal Converts to Judaism in the First Century C.E., Study of Source (Cincinnati ـ 1983)

ـ نوري بطرس عطو، تاريخ حدياب (أربيل 2011).

(حذاب، أو ذاب) أي (زاب)، وأطلق عليها البلدانيون العرب والمصادر العربية اسم (حزة) ويبدو أن هذا الاسم مصحف مع اختزال عن اسم حدياب، وتكتب بالسريانية: ܚܕܝܐܒ حَذياب. لقد تعاقب على حكم حدياب في هذه المرحلة، مثل باقي العراق: الإغريق والفرثيون والأرمن والرومان والساسانيون، حتى الفتح العربي الإسلامي. فبعد سقوط آخر دولة عراقية في القرن السادس ق.م وسيطرة الفرس الإخمينيين، اشتهرت هذه المنطقة بأكبر واقعة تاريخيةانتصر فيها الإسكندر المقدوني على داريوش الثالث ملك الاخمين: (معركة أربيلا سنة 330 ق.م)[70] وقد جرت في سهل برطلة (في الموصل حالياً). فتح الإسكندر (أربيل ـ حدياب) سنة 331 ق.م ومنها باقي بلاد النهرين، ليتخذ من (بابل) عاصمة لإمبراطوريته العالمية. وقد استمر حكم اليونان نحو قرنين، حتى مجيء الفرثيين ثم الرومان وبعدهم الساسانيون الذين انتهوا عند الفتح العربي الإسلامي للعراق.

وقد حفظ لنا التاريخ أسماء حكّام وملوك آراميين أربيليين كانوا يحكمون مملكة حدياب طوال العهد الفرثي، وهنالك ذكر لملكتها (هيلينا الحديابية) التي يعتقد بأنها يهودية في القرن الأول الميلادي حسب المؤرخ اليهودي يوسفوس، ومنهم على سبيل المثال (الأمير إيزاط) الذي حكم لغاية 60م وكان قد اعتنق المسيحية، وحكم ملك آخر من بعده يدعى (سين ـ طروق) بين (91 ـ 109) م، ثم الملك (رَقبختْ) الذي مات في الحرب ضد بدو الجبال سنة 149م. أما (نرساي) فهو أمير أربيل الآرامي العراقي الذي اعتنق المسيحية وصار حاميها، لكن ملك الفرث الإيراني قتله لعدم مشاركته إياه في حربه ضد منافسيه الفرس. معظم سكان المملكة كانوا من الآراميين الذين اعتنقوا المانوية والمسيحية في القرون اللاحقة، بالإضافة إلى أعداد من اليهود والفرس الزرادشتيين.

وكان لمملكة ميسان في جنوب العراق علاقات حميمة في بداية القرن 1م مع مملكة (حدياب)، وكان أحد الأمراء الحديابيين وهو (عيزات) قد قابل أحد التجار اليهود في ميشان واقتنع بالإيمان باليهودية، فلما عاد أصبح ملكاً على حدياب بين 30 ـ 36م بحسب ما جاء في كتاب (تاريخ يهودا) لفلافوس يوسف.

(70)ـ ويطلق على هذه المعركة تسمية ثانية(معركة كوكملا: Battle of Gaugamela)

الأسقف نوح الأنباري (القرن 2 م) اسقف حدياب

ومن شخصيات (حدياب) المعروفة الأسقف (نوح الأنباري) الذي ولد في الأنبار، وقام بالحج مع أبويه إلى أورشليم (القدس) حيث أصبح هناك مسيحياً، ثم عاد معهما إلى (حدياب) وزار أسقفها (إبراهيم) فأحبه جداً واصطفاه لخدمته ثم نصَّبه أسقفاً ليخلفهُ، وقاسى شدائد كثيرة فسُجن خمس دفعات وجُلد اثنتي عشرة مرة وآتاه الله تعالى موهبة صنع العجائب، فشفى أحد أبناء رز شاه وهو أمير إيراني مقيم في (حدياب ـ أربيل) وأقنعه بالمسيحيةُ، ثم رحل (نوح) إلى الموصل ونشر المسيحية في قرية ريشي، ثم عاد إلى كنيسته في أربيل وتوفي سنة 181م، وابتنى النصارى فوق ضريحه كنيسة سمّوها باسمه.

كركوك

(الكنيسة الحمراء) في كركوك، نسبة الى دم الشهداء الذين تم اعدامهم من قبل الفرس

تعتبر كركوك من أهم مدن شمال العراق في هذه المرحلة، وكانت أيضاً ناطقة بالآرامية وبأغلبية مسيحية. هناك آراء مختلفة عن أصل تسمية المدينة، واسم هذه المدينة مرتبط بقلعتها الشهيرة (قلعة كركوك) النهرينية العريقة التي تقع في مركزها.

من المعلوم أن غاية تشييد قلعة كركوك ومعها قلعة أربيل، هي من أجل حماية بلاد النهرين من غزوات بدو الجبال، وكذلك قاعدة للتفاهم معهم وكسبهم إلى الحضارة النهرينية، وقد أنشأ هذه القلعة الملك (آشور ناصر بال الثاني (884 ـ 858 ق.م) فوق مستوطنة قديمة ورد اسمه في الألواح المستخرجة منه وعددها 51 لوحاً يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، تم العثور عليها في سفح القلعة عام 1923،

وتقول المصادر: إن البابليين سموها (أرابخا)، وسمى الآشوريون المستوطن القريب منها (أرافا)، والتي حرفت في التاريخ القريب إلى (عرفة).

وفي 311 ق.م. من الدولة السلوقية اليونانية تم تطوير هذه القلعة وأطلق عليها (كرخ سلوقس)، أي (مدينة سلوقس)، وتعتبر هذه التسمية منحوتة من التسمية الآرامية (كرخا ـ بيت سلوخ) ومنها يعتقد أتى اسم (كركوك). يعتقد التركمان أن المدينة سميت بكركوك لأول مرة في عهد دولة (قه ره قوينلو) حيث اشتق اسم المدينة من كلمة كرك التي تعني الجمال بالتركية القديمة.

إن كركوك من أكثر المدن العراقية التي قدَّمت شهداء مسيحيين، بسبب وجود حامية إيرانية فيها مع جماعة دينية مجوسية متعصبة أرادت القضاء على المسيحيين وتحويلها إلى مدينة مجوسية!!

فمثلاً في فترة ما يسمى بـ (الاضطهاد الأربعيني) الذي دام أربعين عاماً وشمل العراق بأكمله والذي بدأه الملك (شاهبور) في أوائل القرن الرابع م، قامت سلطات كركوك بالتعاون مع (الموباد ـ رجال الدين المجوس)، بشن حملات وحشية من إعدامات ومطاردات ومصادرة أملاك ضد المسيحيين، وقد قدمت المدينة الكثير من الشهداء وعلى رأسهم المطران الشهيد (مَعْن) رئيس الكنيسة. كذلك هنالك الكثير من الشهيدات المسيحيات اللواتي دخلن تاريخ القديسات الخالدات لدى المسيحيين العراقيين، مثل (باعوثا) وهي سيدة من عائلة نبيلة.

كذلك الشهيدات (ثقلا، دنَحة، طاطون، ماما، مزَحيا، وحنة، حابيت، حَساي ومزَحيا، شيرين) وجميعهن من الراهبات المكرسات اللواتي أقسمن على البتولية (العذرية)، وفي مكان استشهادهن نبتت شجرة تين أخذت تشفي كل من يلتجئ إليها. فلما رأى المجوس المعجزة التي حدثت، قطعوا الشجرة وأحرقوا المكان. لكن هذه البقعة بقيت مقدسة وتدعى (مكان شجرة التين)، وفي كل عام عندما تقام ذكرى إحياء اليوم العظيم للصلب، تصعد رعية الكنيسة بكاملها إلى مكان الاستشهاد.[71]

(71) ـ من معالم تاريخية كركوكلية (الكنيسة الحمراء ـ كنيسة قرمزي): وهي من آثار عمليات الاضطهاد الإيرانية ضد المسيحيين التي تأسست في القرن الرابع للميلاد، وتعرف أيضاً بمقبرة (طهمازكرد) وهو القائد المجوسي الفارسي الذي استشهد على يده عشرات الآلاف من مسيحيي مدينة كركوك وضواحيها، ويبدو أنه حينما =

لغز بطارية بغداد

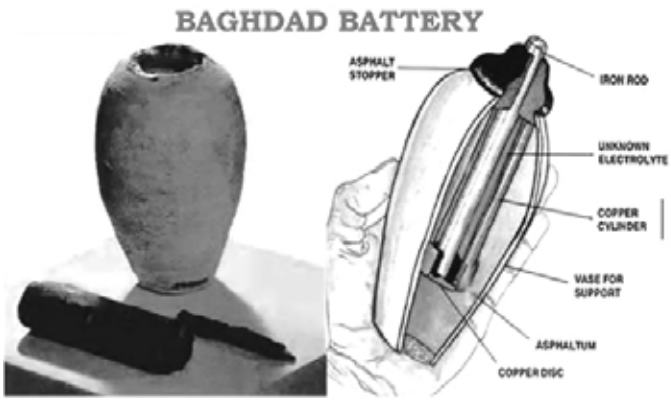

في المتحف الوطني العراقي، توجد جرَّة صغيرة بحجم قبضة اليد تتكون من عدة قطع تعود للقرن الأول الميلادي في فترة حكم البارثيين. اكتشفت عام 1936م في قرية خوجوت رابه، قرب بغداد، وهناك حوالي 12 جرة أخرى مثلها. ظهرت عدة نظريات حول استخدامها، منها أنها كانت تستخدم في طلاء التماثيل بالذهب، أو ربما في العلاج الطبي حيث وجدت بعض الإبر قريباً منها، وهذا الاكتشاف يعني أسبقية العراقيين باختراع البطارية قبل (العالم فولتا) بحوالي 18 قرناً.

= أعدم امرأة اسمها (مرتا) مع طفليها، شاهد هو وجنده في السماء الملائكة ترفرف على الشهداء، قرر اعتناق المسيحية مع جنوده. لكن الإمبراطور الفارسي (يزدجر الثاني) أعدمه ودفنه في نفس مقبرة الشهداء، ومنذ ذلك الوقت يقام فيها احتفال ديني كبير في (25 أيلول) من كل عام. لكن هذه الكنيسة لم تعد موجودة حيث تحولت إلى مقبرة كبيرة للمسيحيين، وخاصة بعد أن تهدمت أثناء انسحاب القوات العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918 بعد أن تحولت إلى مخزن للعتاد ثم انفجرت بكاملها. لكن اعيد تشييدها في اعوام 1924 و1948